

فالشعر العربي

بقلم: رئيس التحرير

جمالا حينما يأتي في الكلمات الجميلة الرائعة ، والمعنى الرفيع ، يزداد سموا حينما يجيء في أسلوب قوي بلغ .
والشعر العربي هو الوسيلة التي اتخذها العرب للتعبير عن مشاعرهم واحاسيسهم ، وعن المعاني التي تراود خواطرم ، وتجول في اذهانهم ، ذلك لان الشعر يستطيع ان يأتي بما لا يأتي به النثر من النغم الجليل ، والابحار الرائع ، والابجاز البليغ ، فالمعنى الذي يأتي به الشعر اكثر تأثيرا في النفس من المعنى الذي يأتي به النثر ، ذلك لان الشعر انما هو الطاقة العاطفية المعبرة عن اعماق النفس الشاعرة ، وليس كل معنى من المعاني يأتي اكثر تأثيرا في النفس بالشعر ، اي شعر ، وانما هو يأتي اكثر تأثيرا في النفس بالشعر الصادق الذي يأتي في وقته وساعته ، وليس بالشعر المتكلف الضعيف .

ولهذا اعتد العرب على الشعر الفناني في التعبير عن مشاعرهم وعن احاسيسهم وعن المعاني التي تراود خواطرم ، وتجول في اذهانهم ، والشعر الفناني هو الشعر الايقاعي النغم الراقص ، ان المعنى الذي يفقد الكلمات الشعرية القوية ، واللفظ الرائع الجليل ، والاسلوب البليغ ، يفقد قيمته ، ويوبت قبل ان يحقق الغرض المرجو منه .
وقد تطور الشعر العربي تطورا كبيرا منذ نشأته ،

الشعر العربي كما نفهمه ، ونؤمن به ، انما هو شعر غنائي ، يعتمد على المعانة النفسية ، والاداء المعبر بوضوح عما تعانيه النفس الصادقة ، والشعور المرفه ، وهو ان لم يصغ بأسلوب رائع بلغ فقد حرارته ، وقلت قيمته ، وكادت معانيه ان تضيع .

اذًا فلا بد للمعنى الرفيع ، من أسلوب رائع بلغ ، ذلك لان الاسلوب هو الاداة التي تصور المعنى ، وتعبّر عنه ، فان كان الاسلوب بليغا رائعا ، جاء المعنى جيلا ، وان كان الاسلوب ضعيفا ، جاء المعنى ضعيفا ، بل ربما تسلط الاسلوب الضعيف على المعنى الرفيع فشوّهه وقتله ، ولم يات علم البلاغة الا ليرتفع بالمعنى ، ويضعه في الموضع الذي يستحقه ، والا فاما هي قيمة المعنى ان لم يات في اطار جميل ، وعبارات بليغة ، واسلوب متين ؟ كثير من المعاني فقدت روعتها ، وقلت قيمتها من جراء الاطوار الذي انت به ، والعبارات الضعيفة التي جاءت بها ، والاسلوب المفك الذي صيغت به ، بل ان كثيرا من المعاني ضاعت بسبب اضطراب الكلمات وضعفها وركاكة الاسلوب وتفككه ، وقبح الاطوار الذي وضعت فيه .

لهذا اعتنى العرب بالاسلوب ، اعتنوا باللفظ الجليل ليعبروا به عن المعنى الجليل ، والاسلوب الرفيع الذي يصيغون به المعنى الرفيع ، فالمعنى الجليل يزداد

يردها الناس في مختلف عصورهم ، والناس هم الناس في مختلف العصور والايام ، يطورون الايام ، ويتطورون مع العصور ، وما دام هذا الشعر يعبر عن مشاعر الناس ويصور حياتهم ، ويتحسس مشاكلهم ، فهو الشعر الخالد الحي ، يتفنى به الانسان في هذا العصر ، وفي كل عصر من العصور .

والذين يحسبون الطريق الى الشعر سهلا بسيطاً يخطئون في تفكيرهم هذا ، فالشعر ليس علماً من العلوم وليس هواية من الهوايات التي يستطيع الانسان ممارستها متى شاء بدون استعداد لها ، والشعر ليس دراسة محددة يدرسها الانسان وينتهيها ثم يصبح شاعراً والشعر ليس حرفة يستطيع الانسان اختيارها من بين الحرف الأخرى وهو غير مؤهل لها .

ان الشعر موهبة ، يستطيع الانسان ممارستها ان هي اختارته ، وان توفرت فيه المؤهلات الشعرية التي لا تتوفر الا لدى القلائد من الناس ، وان وجدت فيه الاستعدادات التي تؤهله لممارسة هذا الفن الجليل . ذلك لان الانسان مهما بلغ من العلم ، ومهما نال من الثقافة والادب لا يمكنه ان يصبح شاعراً الا اذا توافرت فيه اسباب الشعر وبواعثه ، وابدى استعداداً لتلقي الوحي الشعري ، والتعبير به عن معاناته ، وعن مشاعره واحاسيسه بصق وبإخلاص ، وبأسلوب رفيع بلغ ، وتفاعل معه تفاعلاً تاماً ، بعيداً عن التصنع والتكلف ، وصف الكلمات صفاء بدون شعور صادق ، وعاطفة حارة أصيلة .

إذاً فالشعر موهبة لا يانها الا الشعراء المهيا لها ، والانسان مهما بلغ من العلم والادب لا يستطيع ان يكون شاعراً الا عندما تتوفر فيه المؤهلات الشعرية ، والمهانة النفسية ، والشعور الصادق ، والاستعداد للتعبير عن عواطفه ومشاعره بالاسلوب الشعري الرفيع كما قلنا ، ويستطيع بعد ذلك ، وبعد توفر هذه المؤهلات والاسباب ان يعبر عن نفسه ، ويتروذ بالشحنات والطاقت الشعرية في الاطلاع على اساليب الشعراء ، وتفننهم في قول الشعر والتعبير عن معاناتهم ، ليسلك الطريق الذي يختاره لنفسه في التعبير عن مشاعره ، وتصوير مجتمعه الذي يعيش فيه تصويراً صادقاً ينبض بالحركة والحياة .

وهناك بعض الناس الذين كسانوا يعتقدون ان دراسة العروض تمكنهم من ان يملكو ناصية الشعر ، ويصبحوا شعراء ، وهناك آخرون يعتقدون ان التحل من العروض وازان الشعر يهدهم الطريق امامهم ، ويسهله لكي يقولوا شعراً ، او ما يسوونه بشعر ، فلا هؤلاء ، ولا اولئك على صواب ، ذلك لان الشعر موهبة واستعداد كما قلنا ، ان لم يتوفر في الانسان ، فلا يمكنه ان يكون شاعراً ، مهما درس من عروض ،

ومنه معرفتنا به ، ولكنه تطور لم يفقده طابعه المميز ، تطور في اسلوبه وفي ادائه تطوراً بالغا ، واستطاع ان يعبر عن المعاني اصق تعبيري واروعه ، وبقي الشعر القوي منه حياً ما زال يعبر عما فيه من معان بكل روعة وبلاغة ، ويكلم حيوية وجبال على امتداد قرون طويلة ، ولا زلنا نتفنى به ، ونتنشي لاسماعه ، ونظرب لإيقاعه . الشعر العربي اذاً لم يفقد طابعه ، ولم يفقد قدرته على التعبير ، ولم يفقد تطوره على مر السنين ، وكر الايام ، بل انه استطاع ان يعبر عن مشاعر كل عصر من العصور ، وان يصور حياة الناس في مختلف هذه العصور ، وفي مختلف البيئات الاقليمية من البلاد العربية . تطورت الحياة فطور معها وصورها خير تصوير ، واختلف الناس في مشاربهم واوضاعهم فسجل لنا هذه الارض والمشارب ، بل انه تحسس المشاكل التي قد تعترض حياة الناس ، وتنبأ بالكثر الكثير منها ، وظلما اثبتت الايام صدق تحسسه ، وعمق تنبؤه .

لقد مات الكثير من الشعر الذي لم يستطيع ان يعبر بصدق ، ويصور الحياة على حقيقتها ، ومات الكثير من الشعر الذي لم يستطيع ان يعبر بمعم عن مشاعر الشعراء ، وخلصت نفسه ، ومات الكثير من الشعر الذي لم يصور المعاني تصويراً جليلاً قويا .

الشعر الصادق هو الذي يستطيع البقاء ، لانه هو الذي يعبر عن مشاعر الشعراء ، واحاسيسه المختلفة والشاعر الصادق هو الذي يستطيع ان يعبر عن معاناته النفسية التي تعكس المعاني المترسبة في اعماقه والتي تصور حياته التي يحياها ومن ثم حياة الناس والمجتمع . وفي هذه الايام يعتقد الكثير من الناس ان الشعر وطريق الوصول اليه اقرب الى تناولهم ، دون استعداد له ، ودون معرفة عبققة لاصوله ، والشعر ليس كلمات مرصوة جامدة ، وانما الشعر كلمات متحركة حية ، وليس الشعر كلمات منقطة على الورق ، لا تحرك القارئ ولا تهز السامع ، وانما الشعر كلمات بليغة رائحة ذات ايقاع جميل ، تحرك القارئ ، وتجذب انتباهه ، وتهز مشاعره ، واذا لم يستطيع الشعر ان يؤثر في القارئ ، وفي المستمع تأثيراً قويا ، فهو ليس بالشعر الحي الخالد .

الايام هي التي تحكم على الشعر ، ذلك لأنها ابداء في تغير ، ولأنها ابداء في تطور ، ولأنها مستمرة في تغيرها وفي تطورها ما دامت هذه الحياة باقية ، وهذه الايام في استمرارها وفي تطورها وفي تغيرها تحكم على الشعر فهي التي تقضي على الشعر الذي ياتي خلوا من الروح ومن الحياة ، وهي التي تحكم للشعر الحي المبرع عن مهانة صاحبه ، والمصور لحياة الناس والمجتمع ، فكل شعر حي سوف تخلده الايام ، ويبقى ألحانا غنية

الجميل ما نحسبهم أتوا بهذه المحاولة للإساءة إلى الشعر العربي ، وإفساح المجال أمام الذين يريدون المجد من أسهل طريق ، ويقبحون أنفسهم على الشعر ألقاها بدون استعداد ، فأثروا بهذا الكلام الكثير الذي يحتاج إلى كثرة من الإيضاح ، لغموضه ، ولخلوه من الحركة ومن الروح الشعرية ، ولاضطرابه وركبته وتجزئه .

إن هؤلاء الشعراء المحنئين ، ذوي الإصالة الشعرية ، والذين ييغون تطوير الشعر ، لم ينفخوا عنهم قواعد الشعر العربي وأصوله ، من وزن ونغم وقافية ، أما أولئك الذين يريدون التحلل من هذه القواعد والأصول التي ألزم بها الشعر العربي فلن يصلوا إلى نتيجة في شعرهم هذا ، الذي هو إلى التفرق أقرب منه إلى الشعر ، فقد أخذنا نقرأ بعض الكلمات المنقورة ، مكتوبة في مقاطع خالية من الوزن ومن النغم ومن القافية ، فلا نجد فيها حرارة الشعر ، ولا نحس فيها روح الشاعر ، وإنما نقرأها كما نقرأ التفرق ، إلا أن التفرق أكثر وضوحاً ، وأجبل أسلوباً ، وأسلمس الفاظاً ، ومع ذلك نجد كاتبها يتبعها شعراً ، وليس فيها شيء من الشعر ، ومن نغمه وإيقاعه وأسلوبه ..

إن الشعر العربي ، شعر غنائي ، مشحون بالعواطف المشبوبة ، وبالمعاني الرفيعة ، والصور المجنحة ، والكلمات المنفحة ، والمشاعر الحارة ، ومميز بالإيقاع الجميل ، والنغم الطرب ، والنغم والإيقاع لا يوجدان إلا في الشعر الموزون ، فهذه الضوابط هي التي تميز الشعر وترتفع به إلى مستوى الوحي .

والوزن والنغم والقافية إن لم تتوفر لها العواطف المشبوبة ، والمعاني الرفيعة الجميلة ، والصور الشعرية المجنحة والإخيلة الواسعة ، وحرارة المشاعر ، إن لم تتوفر لها هذه الأشياء كلها لا تؤدي الفرض المطلوب منها للشعر ، وإنما تصبح كلاماً موزوناً منغماً مقفى ، ليس فيه أصالة الشعر ، وسبوه .

والشعر الذي لا يسمو بمعانيه والفاظه ، ولا يحرك مشاعر القارئ ، ولا يسر عن معاناة الشاعر ، ليس شعراً ، وإنما هو كلام منظوم لا يرقى إلى مرتبة الشعر الخالد الجميل .

والشعر الحق الصادق ، سيخلده التاريخ ، وسيبقى إلى مدى الأيام ، ولن يفتره تطاول المتشاعرين أو الذين يدعون الشعر ويحاولونه بدون استعداد ، وبدون قافية ، وبدون موهبة ، وما الشعر إلا موهبة يختص بها الشعراء دون غيرهم من الناس .

ومهما حفظ من شعر ، ومهما تحلل من العروض ، ومهما تخلص من الوزن ، ومهما تهرب من انتقافية .

بإستطاعة الإنسان أن ينظم شعراً ، لكن ليس بإستطاعة هذا الشعر أن يبقى وأن يخلد إن لم تتوفر فيه شروط الشعر ، ولهذا نقرأ اليوم الكثير مما يسمى شعراً ، ولا نجد فيه حرارة الشعر ، لأنه ليس شعراً وإنما هو كلمات منظومة ، ومنقبة على الورق ، لكن هذه الكلمات المنظومة والمنقبة ، نقرأها فلا نجد لها معنى ، ولا نشعر فيها بحرارة الشعر ، ولا تحركنا ولا تثير فينا أي شعور نحوها ، إذاً فليس هذا الذي نقرأه شعراً ، والشعر براء منه ، ولا يفسر الشعر أن ينطلق عليه المطفلون ، وأن يتناولوا عليه المخطاؤون ، وأن يدعوه وهم ليسوا منه في شيء ، فإن الزمن سيحكم عليهم وعلى شعرهم ، ولن يبقى لهم أي ذكر في عداد الشعراء المرموقين ، الذين توفرت لديهم أسباب الشعر وشروطه .

والكثرة الذين نراهم اليوم يقبحون أنفسهم على الشعر ألقاها سيسقطون من عداد الشعراء لعدم استطاعتهم أن يرقوا إلى مرتبة الشعراء المؤهلين لهذا الفن الجميل .

والغريب حقاً أن بعض المحنئين ييغون الوصول إلى الشعر دون استعداد لهذا الوصول ، فيسبون إلى أنفسهم وإلى الشعر الذي يأتون به ، ويقبحون أن الطريق التي أخذ يسلكها بعض الشعراء المحنئين قسد ألفت من كواهلهم أعباء لم يستطيعوا تحييلها ، فلا التزم بقواعد الشعر وأصوله ، ولا التزم بالإصالة الشعرية ، ولا التزم بمعرفة أساليب الشعر وفنونه ، ولا جهد جهيد للاطلاع على تاريخ الشعر ، وعلى نتائج الشعراء ، وعلى تطور الشعر منذ نشأته ، وعلى أساليب الشعراء والمسالك التي كانوا يسلكونها ، بل وعلى قواعد اللغة العربية وأصولها ، وهي اللغة التي يكتبون فيها شعرهم ، ويستندون منها الكلمات التي تقوم لهم أسلوبهم ، وتساعد على كتابة الشعر .

والشعراء المحنئون ، أو بعض الشعراء المحنئين ، حينها حاولوا التجديد في الشعر، حاولوا ذلك بعد أن أصبحت لديهم القدرة وأصبحت عندهم الإصالة الشعرية التي تمكنهم من الدخول في هذه المحاولة التي لما يحكم الزمن بعد على جدارتها في البقاء ، وعلى استطاعتها تحسس مشاعر الناس وتلمس مشاكلهم ، ومع ذلك فإنهم لم يتحللوا من كل الأصول والقواعد الشعرية ، أو الأصول والقواعد التي تميز الشعر عن التفرق ، وإن كانوا يأتون بأوزان متعددة ، وقوافي منطوية ، في القصيدة الواحدة ، بل في البيت الواحد ، وبعض هؤلاء الشعراء المحنئين الذين يحاولون تطوير الشعر العربي ، والذين ما زالوا يخترمون أصالة الشعر العربي ، بقواعده وإيقاعه

بقلم
عباس
فخصر



توفيق الحكيم

على شاطئ الاسكندرية

علاقة الأدب بسيارات العصر



توفيق الحكيم

التفر من ادباء ومفكرين ، والى جانبه « وزيره » نجيب محفوظ .. وامامه « ياوره » ثروت ابانظه .. ولدين بارين من اولاده القصاصين الذين خرجوا من « معطفه » كما خرج قصاصو الروس من معطف جوجول .
وتوفيق الحكيم — كما تعرف — ثروة ادبية عربية ضخمة ، وهو احد رواد الادب العربي الحديث في مجال القصة بانواعها ، ولا سيما في المسرحية ، فهو

« من شرب من ماء النيل لا بد أن يعود اليه »
هذه العبارة المأثورة عن علم من اعلام الغرب زار مصر ، ثم شعر بالتشوق الى تكرير الزيارة ، اذكرها كلما هيمت بالسفر الى الاسكندرية صيفا وفي خيالي مكان هناك على شاطئ البحر الابيض المتوسط يشدني اليه ثدا .. حيث يجلس « توفيق الحكيم » في مصطافه الاتير .. قطبا يستقطب معظم من يكون في

اول من كتبها في العربية ادبا رفيعا بقرا كما يشل ، ثم خطا بها خطوات بتطورات على هدى من التراث الانساني والتقدم ، وبنويع من اصلاته وموهبته .
وكم نحن سعداء به .. واقصد بضمير الجماعة « نحن » هؤلاء الذين يتباح لهم مجالسته ، فهو متبع مغذ في حديثه كما هو في كتابته . يظفر المستمع اليه بالكثير ، على شرط ان « يسره » ! فهو نافر جائل من المحال التي تتطلب مخاطبة جمهور .. حتى الجمهور غير المرئي ، وقد بسط منه الاذاعة والتلفزيون بعد محاولات .. وناشر جائل كذلك من الصحفيين ، حتى الصحفيات الحسان .. هذه مثلا فناة بيروتية ذات جاذبية وشخصية باهرة ، جاءت الى شاطئ الاسكندرية في مجلسنا هناك تطلب منه حديثا لمجلة بيروتية ، فينظر بينه وبينه وسامه كانه يريد ان يفر .. ثم يلجأ الى عصاه .. لا لهيش بها على الفتاة .. وانما ليثبتها على الارض متكا عليها كانه يتعمص بها ، ويلقي في الوجه الحسن بالمعاذير عن الاحاديث ..

ولو كانت الفتاة الصحفية تعرف ما نعرف من استاذنا لسرقت .. ما ان رأى القلم مشرعا في ينهاها والدفتر في يسراها حتى خالها تشرع في الهجوم عليه .. فافضل ، ثم تخلص منها بعبارة لينة ، وتبهددت استئذنها المحددة مع النسبات الانية من البحر . ولو لم تفعل لكان لها ما ارادت من حديث بجيء عرضا في ثنسايا الكلام الذي يجر بعضه بعضا .
وقد جربنا على ان نأخذ افكار استاذنا الحكيم نون ان تشرع في وجهه اقلاما واسئلة ، فهو عندها يشمر بالابسان من هذه « الاسلحة » ويانس الى جليسه يفيض بما يغذي العقول ويمنع الوجدان . وقد « سرقت » منه في هذه الجلسات ما ساعدك به ، ولكنها ليست سرقة بالاكراه ، ففكرنا ما يفيض الينا بما يجب ان يذيعه ، وهو قلما يكتب المسال ، ولكنا نأخذ عنه ما كان يمكن ان يكتبه . وهنا اتول ان توفيق الحكيم استاذ موجه لجيلنا في مجال النقد والفضايا الادبية عن طريق احاديثه الشفوية ، الى جانب ريادته في الانتاج المكتوب .

ومما يشه فينا توفيق الحكيم ان النائد - لكي يكون بناء - يجب ان يكون على علم بالحركة الادبية المعاصرة وملما بالانتاج في مختلف نواحيه الى جانب المامه الخاص بالمتقود وانتاجه السابق والظروف والملايسات التي انتج فيها ، حتى يستطيع ان يضع العمل الادبي في مكانه ويسلط عليه الانواء الكاشفة ، فيبين تطور صاحبه ومدى تقدمه ومقدار اضافته ان كان له حظ من ذلك .

ومن نهج هذا النهج متأثرا بذلك التوجيه زميلنا القصصي النائد يوسف الشاروني ، اذ يجتهد في

تقصي كل ما يتعلق بالعمل الذي يتصدى لدراسته وتقصيه .

ونعود الى جلسائنا الممتعة مع استاذنا الحكيم في مصيفه الاثير ، في ذلك المقهى الجائم في حضان الربوة المطلية على البحر الابيض في مدخل حي « سيدي بشر » بالاسكندرية .

كان قد حان موعد فنجسان القهوة الوحيد الذي يتناوله يوميا في تمام الساعة الثانية عشرة ظهرا .. ورشفت من القهوة وهويرسل نظراته الحاملة الى امواج البحر التي تخفتت من اثقال المصطافين في شهر سبتمبر . ثم نظر الينا بعد اخر رشفة من القهوة ، والحديث يتشقق بيننا عن علاقة الادب بتيارات عصره ، وقال :

كانت القضية الفكرية الشاغلة للعقول بعد ثورة سنة ١٩١٩ هي الشعور بالشخصية القويمة وبمعت الروح المصرية ، بعد تسلط اجنبي دام فترة طويلة من الزمن استكانت فيها الامة ، حتى زعم الاجانب المستطعون انها جنس دون جنسهم وليس من شأنها ولا من طبيعتها ان ترغى رفيعهم .. ففكرت - يقول توفيق الحكيم - في ان ادحض هذا الزعم وابنت ان الروح كامنة ، وهي روح عظيمة ، ولا بد ان تعود .. وان الشعب الذي صنع الحضارة القديمة والتفت العالم الغربي ثمنه الى ما كان لهذه الحضارة من شأن عظيم بعد اكتشاف « حجر رشيد » وفك رموزه ودلائفه على ما كان من الحضارة ليست اقل من حضارة الاغريق ، وحررت في وسيلة التعبير ، ثم اهدتني الى ان الايق بي ان امير عن ذلك في رواية ، برغم مبلي واتجاه نفسي الى كتابة المسرحية ، لاني وجدت ان المجال الروائي الرحب هو اللامم للوضوع ، فكانت رواية « عودة الروح » .

وعاد الحديث في جلسة اخرى عن علاقة الادب بقضايا العصر ، فقلت لاستاذنا الشيخ : حدثنا بالامس عن « عودة الروح » فماذا كان من شأن « اهل الكهف » ؟ قال :

— كان الشأن نفسه .

— وكيف كان ذلك ؟

اجاب وقد فرغ من مقومته في بيعاعها المحدد :

كان الصراع دائرا ودائها حول القديم والجديد .. وشغلتنني القضية ، وقتلت في نفسي : محال ان نفق عند القديم ونتجاهل الزمن ومقتضياته ، ونتوقع في الماضي ونندعه يتحكم فينا ، فلا نتقدم عنه ، ورايت انه لا يمكن ابدا ان يبعث الماضي حيا ويستمر كما كان . ووجدت ان اهل الكهف هم خير من يشل هذه الفكرة .

وهنا تنبه نجيب محفوظ ، وكان قد فرغ من فنجسان القهوة الثاني المحدد له هو ايضا نفس الهيماء ، اما

حكاية صغيرة أشبح محمد رضا آل صادق

ألمني المشرق والحب .. نوراني
متوارث اغنياتي ..
ظلت جذرا من الصمت ..
.. وماتت كلماتي

كان لي قلب يعني ..

هاتما في عالم القنوة ..

.. والسحر لخلال ..

ألمني المشرق والحب ..

متوارث اغنياتي ..

ظلت جذرا من الصمت ..

.. وماتت كلماتي

ألمني المشرق والحب ..

متوارث اغنياتي ..

ظلت جذرا من الصمت ..

.. وماتت كلماتي

ألمني المشرق والحب ..

متوارث اغنياتي ..

ظلت جذرا من الصمت ..

.. وماتت كلماتي

ألمني المشرق والحب ..

متوارث اغنياتي ..

ظلت جذرا من الصمت ..

.. وماتت كلماتي

ألمني المشرق والحب ..

متوارث اغنياتي ..

ظلت جذرا من الصمت ..

.. وماتت كلماتي

الفتجان الاول فموعه تمام العاشرة صباحا . اراد نجيب ان يثير قضية فنية .. هل تسبق الفكرة الحادث بمعنى ان تنشأ الفكرة لدى الكاتب القاص ، ثم يبحث لها عن حادثة يعبر عنها من خلاله ، ام ان الامر على العكس ، فمسأل استاذنا الشيخ :

— هل جائتك الفكرة اولا ثم رايت ان حادثة اهل الكهف يصلح لها ؟

— لا . الواقع اني سمعت سورة اهل الكهف من قاريء القرآن في مسجد بالقاهرة قبل ان اسافر الى باريس ، ففر في نفسي ان تغير الحالات يصلح لعمل درامي ، فقراتها وقرات التفسير ، وظل الحادث يراودني حتى جاعنتي الفكرة .. وجدت اصحاب الكهف الذين استيقظوا من نومهم بعد نحو ثلاثمائة عام ، فراوا عالما جديدا غير عالمهم ، وحاولوا ان يعيشوا فيه بحالهم الاول ، ولكن المجتمع الحديث رفضهم ، حتى كلبهم لم تألفه الكلاب الجديدة .. فلم يجدوا مفر من العودة الى الكهف ، اذ استحال عليهم ان يعيشوا في مجتمع لم يحسبه ويشركوه في تطورهم ، وجدت هؤلاء خير من يرمز الى الجاهدين في عصرنا الذين يرفضون الحضارة والمعاصرة .

وسكت الحكم برهة ، ثم استأنف يقول :
النقاد الذين لم يفهموا فكرة المسرحية : الصراع مع الزمن ، اخذوا عليّ اني لم اجعل اصحاب الكهف يتطورون مع المجتمع الجديد ويعيشون فيه . وتخابلت على فمه بسمه ساخرة وهو يتابع القول . ثم جاؤوا — اي النقاد — يتقدوني في مسرحية « الايدي الناعمة » لاني جعلت بطلها الامر يتطور ويتلام مع المجتمع الجديد ! لم يفهموا الفكرة هنا كما لم يفهموها هناك .

ويذكرنا موقف اولئك النقاد من مسرحتي الحكم بحكاية « جحا المصري وحماره » اذ ركب الحمار ومشى ولده وراءه ، فقال الناس : انظروا هذا الرجل الاساني يركب ويدع الصغير الضعيف يمشي .. فنزل وأركب ولده ومشى هو : فقال الناس : انظروا هذا الولد القليل الادب يركب وابوه يمشي .. فركب هو وولده ، فقال الناس : انظروا كيف يركب اثنان حمارا ضعيفا .. هل انعمت الشفقة على الحيوان ؟ فنزل جحا وانزل ابنه ومشيا وراء الحمار ، فقال الناس : يا لها من احمسين .. كيف يتعبان نفسيهما بالمشي والحمار امامهما ؟!



ثلاث كلمات الى الرجال

- ١ -

يا أيها الرجال ..
أريد أن أقول
هل تسمحون ؟
كلمة صغيرة ..

ولن تطول

كلمة أحسها
أثقل من حزن الدهور
تدور في قافيتي

تود ان تقول

حزن على عيونها
وموكب الاثواق في أعماقتها ..

يـدور

يوزع ابتسامة الأمل
ليسقط الجدار ..

ويسقط الزمن

يا زمن الحزن متى
نكسر مقود الورا
متى ..

نعيش روعة اللقاء ؟

- ٢ -

يا أيها الرجال ..
دفاثر الاحلام مزقت
ومزق الكتاب
وكسر قيدكم يطول
حقيقتان لا تتال
(الحب في أعماقكم

والموت في الحياة)

فليسقط الجدار يا أحبتي
ويسقط الكلام
وليدخل الغرام ..

قلوبكم

ولتسقط الاشعار

جريمة ان يقتل الاطفال في ..

بيوتكم

وترفعون راية الاشعار ..

- ٣ -

يا أيها الرجال ..
تلفتوا هنيهة

حولكم

هل من رجال ؟ ..
قولوا اذا :

ولتكتبوا في صفحة الزمان
(العنف في قبضتكم

والحب للاطفال

والقييد في معصمكم

قيد على الاجيال)

ولتكتبوا خاتمة المطاف

مضى عليكم منطلق الاقوال

فودعوا عالمكم

دعوا لكم ،

أحبتي ..

عزيمة الرجال .

شعر : راشد نجم عبدالله

١٩٧٠-٥-٢



بقلم
راشد
نجم
عبدالله

الغريب من من من

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

٢

- البحث عن المفاتيح بعد الاستيقاظ المبكر
- الفمطان او البدعية ملبس مشير
- مناقشة لغوية حول الشيش والقضيب والفسود

خرجنا بعد الفطور اللذيذ الى حديقة الفندق وتجولنا في ممراتها ، وفي العاشرة تجمع الزبلاء في ردهة الفندق ، وانطلقنا الى مبنى السفارة ، وعقدنا اجتماعا استعرضنا فيه المنهج الذي اعده اتحصاد كتاب المغرب لهذه الزيارة ، وشاركنا في اعداده كل من السيدين محمد قاسم السداح القائم باعمال سفارة دولة الكويت ومصطفى القباج العضو الاداري للاتحاد ، وبعد الانتهاء من اعداد المنهج خرجنا في جولة استطلاعية سريعة عدنا بعدها الى دار السفارة ومنها توجهنا الى مطعم الواحة لتناول الغداء ، بدعوة من اتحاد كتاب المغرب ، والمطعم صغير ولكنه انيق ذو طابع عربي اندلسي ، وجلسنا على مقاعد طويلة ، واتكنا على وسد فاخرة ، وقدم الطعام على دفعات ، وهو مكون من قضبان الكباب ، او ما نسميه هنا « شيش كباب » ودجاج مطبوخ بزيت الزيتون وحببات الزيتون وقطع الليمون تكتفه من كل جانب وكسكي او كسك كما تلفظ احيانا وازن وانواع شتى من المقبلات والمشبهات ، وكلها انتهى احداها من السفود الذي اياه صاح احد الاخوة المفاربة في القدر الوافقين ابن القضبان ؟! وسألت الصديق العزيز الاستاذ عبد الكريم غلاب لماذا تسبون السفود او « شيش الكباب » قضيبا ؟! فرد بحجاسة انه قضيب فعلا !! الا ترى انه قضيب من حديد ثم ان لفظه شيش لفظة غترا فصيحة ؟ فقلت له والسفود أليست عربية فصيحة وهي خاصة بهذا المعنى ؟ فقال ولكنكم لا تستعملونها وانما تستعملون لفظه شيش وهي عابية فقلت له هذا صحيح ولكن القضيب لا تعطي معنى السفود او الشيش رغم انها عربية فصيحة !! وشررنا « الاتاي » بعد الغداء والاتاي الشاي الاخضر بالنعناع الاخضر وبعد الانتهاء من الغداء بكافة فصوله وتوابعه وقف الاستاذ غلاب يرحب بنا بكلمة رقيقة كريمة واضطرت الى الوقوف للرّد عليه شاكرًا تلك الحفاوة ، وقلت فيها قلت ان تلك الاصناف الكثيرة الشهية من الطعام وفي مقدمتها قضبان الكباب والكسكي والاتاي لم تترك نسخة في الجوف ليتكن الانسان من الارتجال والامانة في الكلام ، وتومت بالامتلاء القوية التي



بقلم
أحمد
القاسبي

في صباح اليوم التالي نهضت على رنين النفلون قبل ان احصل على كفايتي من النوم وكان صوت ابي جليل - ابراهيم المريش - يجلجل بتحية الصباح ، وابو جليل يعتقد ان الساعة قد بلغت الثامنة فقد فاته ان يسطع ساعته على توقيت المغرب ، وكانت الساعة آنذاك السابعة ، وقد اكتفيت من ابي جليل بعبارته الرشيقة المألوفة - آسف يا عزيزي - !! وانتهت ما يجب القيام به في اقل من ربع ساعة ، وقرع باب الغرفة ابو جليل ، ليجسد الاعتذار ، وضجكت لهذا النهوض المبكر الذي فرضه على هذا الصديق العزيز ، وهيمت باغلاق باب الغرفة لننزل الى المطعم لتناول طعام الفطور وبخعت عن مفتاح الغرفة ولم اجد ، وشاركتني في البحث عنه ابو جليل . فقد كان يحنني على النزول الى المطعم . ليسع لنا الوقت للزئول في انحاء حديقة الفندق . وهي حديقة كبيرة عابرة بكل ما زان وطاب من شجرات الورود والزهور الزكية النواحة ، ولما مضى من الوقت اكثر من ربع ساعة ادخل ابو جليل يده في جيبه واخرج مفتاح غرفتي . وهو يكرر العبارة الرشيقة المألوفة - آسف يا عزيزي - لقد اخذته وبلا من ان اعطيت ايساد وضعته في جيبى . ولينصور القساري حالي بعد هذه المفاجأة الغربية !! لقد بلغت المطعم وانما اضحك ضحكا منوملا وابو جليل تارة يضحك وتارة يبعد على مسامحي العبارة الرشيقة المألوفة - آسف يا عزيزي - . وفي المطعم جيت لخدشنا بعض الفتيات الاتقيات وقالت رئيستهن وهي في العشرين من العمر تقريبا ذات جبال ملحوظة لقد عرفنا بقدومكم من الاذاعة . وما كنا نعرف ان الكويت تنم بالادب والشعر فقد كنا نعتقد انها بلد البترول ولا شيء غيره . وان الناس جنك ينزاحمون على اقتناص الثروة بعيدا عن العلوم والفنون . وفهيت من حديثها انها فنانة جامعية تخرجت في كلية الاداب . وان زميلاتها جامعات ملثها . وهي ترى ان العمل في مثل هذه الفنادق الكبيرة دعابة كبيرة لوطنها ، غي تستطيع كما تستطيع اية زميلة من زميلاتها ان تترك اطيب الانطباعات لدى السياح عن الفناء العربية في المغرب . وتقد ان الاوان للفنّانة الكويتية التي تعمل في جميع مجالات العمل غير ملثفة لانتماد المزيّنين والمزيمّات . نالعمل شرف . في كافة ميادينها وبجالاته ، واذا كانت الفناء لا تستطيع ان تسون اخلاقها وهي تعمل . فانها وهي غريبة البطالة والفراق اعجز من ان تسون هذه الاخلاق .

وانهى تلك الكلمة النبيلة بتقديمي للحاضرين لالقاء القصيدة . وكنت احس في تلك الساعة ان القصيدة تحمل سمعة الكويت وسمعة النهضة الشعرية في الكويت ، وان اهتمام الجمهور بها — ان اهتم بها ورشي عنها — انها هو نصر للبلد الحبيب . ولقد بلغت القصيدة المدى الذي اريد ، وكان ذلك النجاح نجاحا اعلاميا للوطن الغالي الكويت ، وحين نزلت بعد القائها نهض ابو سعود — خالد سعود الزيد — يعمانتني امام الجمهور بحاسته المعهودة .

ووقف بعدي الاستاذ عبدالرزاق البصير ولم يبخل باعجابيه ولا بعواطفه على القصيدة ثم تحدث عن الكويت والكويتيين في الماضي والحاضر وترحم على ايام مضت ، وعيشة رغم ضنكها سلفت ، وبعده تحدث الاستاذ ابراهيم العريض عن البحرين بين جاراته ، وانتهى الحفل على خير وخرج الناس يتحدثون عن تلك اللمسية الطيبة .

ومن هذا الحفل الى قصر القبياج انطلق بنا الصديق السداح ، وقصر القبياج قصر فخم بني منذ خمسين عاما ، جميع جدرانه مكموة بالفسيفساء الجبلية وسقفه مكمو بالخشب المنقوش نقشا رائعا ، وقد شاء اصحاب القصر ان يحولوه الى مطعم شرقي ذي مقاعد ووسد ، وتمشينا الكسباب والدجاج المطبو بالزيتون وشربنا بعد ذلك « الاتاي » والاتاي كما اسلفت الفاي الاضر المخل مع الشعاع الاضر . وعشنا في الثانية عشرة الى الفندق للنام .

وفي صبيحة الاربعاء التاسع والعشرين من ابريل زارنا الاستاذ السداح ثم صحبنا في جولة طفتنا فيها بكثير من ارجاء المدينة ، ومدينة الرباط مدينة صغيرة لايزيد عدد سكانها على اربعمائة الف نسمة ، ولكنها جبلية وشوارعها نظيفة ، ومتاجرها عابرة ، وفيها القصر الملكي ، وهو عبارة عن عدة قصور متصلة يحيط بها سور له ابواب واسعة يستطيع كل من شاء ان يدخل وان يتجول بين القصور بسيارته او مشيا على الاقدام . وفي الاربعاء القريبة من قصور خيام الحرس الملكي ، ولا بد ان تكون هناك عيون يقظة ترقب الداخلين والخارجين دون ان يشعر احد . وما زلت اجهل السبب الذي حال دون ان تكون الدار البيضاء عاصمة للمغرب بالرغم من جمالها واتساعها وكثرة سكانها وضخامة عماراتها ، فلقد علمت ان سكان الدار البيضاء يتجاوزون المليونين ، وهي دون شك العاصمة التجارية للبلاد وهم يسوونها كذلك . وانتجت جولتنا في العاصمة الانيقة في السوق القديم ، وهو يشبه خان الخليلي في القاهرة او سوق الحميدية في دمشق ، واشترينا بعض الهدايا التذكارية كالقفطين



تربط ابناء المغرب باخوانهم ابناء الخليج العربي ، وبرسالة الكلمة الحرة الكريمة التي يجلبها اديب البلبين ، والتي يجب ان ينهضوا بها ويؤدوها على الوجه الاكمل في مثل هذه الظروف ، وبعد الكلمة انصرفنا للاستراحة فالحفل موعده الساعة السادسة والنصف ولا بد لي من الفاء نظرة سريعة على قصيدتي التي اعددتها لتحية الشعب العربي في المغرب العربي ، والتي نشرتها بعد ذلك مجلة العربي ومجلة البيان وجريدة العلم المغربية . لقد توجهنا الى قاعة المحاضرات التابعة لوزارة الشباب في تمام السادسة والنصف وفي الجدول المعد لذلك المساء كان هناك ثلاثة من المتكلمين من اعضاء الوفد ، وصعدنا المنصة بتقديمنا الاستاذ عبدالكريم غلاب امين عام اتحاد كتاب المغرب ، وارتجل الاستاذ غلاب كلمة رائعة حبي فيها الكويت ورحب بالوفد وقال فيها قال مخاطب الحاضرين وكلمهم من كرام القوم وفخلائهم : لقد عرفتم الكويت من خلال ما قرأتم او سمعتم ولقد كون اكثركم فكرة عنها تنحصر في كونها بلد البترول ، ولا شيء غير البترول ، ولم يدر في خلد احدكم ان في الكويت اديباء لامعين وشعراء بارزين ونهضة ثقافية كبيرة ، ثم اخذ يقدمنا واحدا واحدا بتعريف مسهب لا نستحق اكثره ، ولكنه التواضع الجم والخلق الرفيع والضيافة العربية الكريمة ،

سيدتي في التضاغط بدون تشديد ، والادب وحسن المعاملة من صفات أبناء المغرب ، فهم قوم مهذبون بالفطرة ، ولعل السر في ذلك يعود الى الطبيعة والمناخ ، فكل شيء في تلك البلاد جميل الى ابعد حدود الجمال !! وجمال المرأة المغربية جمال عربي رائع ، وعيون النساء المغربيات من اجل العيون واكثرها جاذبية وسحرا ، ونحن هنا نعتقد ان عيون نساء شبه الجزيرة العربية قد استأثرت بجمال فريد لا يضاهيه اي جمال بسبب ما نقرأ في الشعر القديم والقصص والحكايات ، والحقبة ان المغرب قد شارك شبه الجزيرة العربية في هذا الجمال ، وزادت الطبيعة هناك غاضافت الى جمال العيون جمال الاجسام .

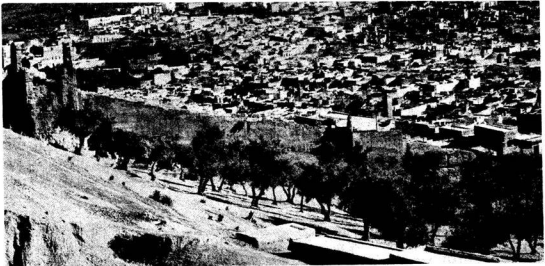
وبعد ان عدنا من السوق قصصنا دار اخينا عمر عهد العمر السكرتي الثاني بسفارة دولة الكويت في الرباط وتناولنا الغداء هناك وكان على مائدته ضرب من السمك يسمونه الشبل وهو صنف من اصناف الصبور المعروف في الكويت ، ولكنه ضخم يكاد يكون بضايخته ضربا آخر من ضروب الاسماك .

وعدنا الى الفندق لنجد امامنا رسالة من الاستاذ القباح موجهة الى والي الاخوين خالد وابراهيم يطلب منا الحضور الى مبنى التلفزة لتسجيل حديث ادبي اتفقنا قبل ذلك على تسجيله ، والاستاذ القباح له عمل في التلفزيون وله اكثر من عمل في اكثر من مجال . وتوجهنا الى التلفزيون وتم تسجيل ذلك الحديث وكان اثره رائعا في نفوس أبناء المغرب .

— يتبع —

الكويت : احمد السقايف

والبدعيات والقفطان كالبديعة — تشديد الياء — الا انه يكتم البديعة بدون كم ، والنساء هناك يلبسن القفاطين والبديعات على حد سواء ، والملابس المغربية خلابة جذابة تجعل المرأة الجميلة ذات فتنة هائلة ، والقفطان او البديعة ثوب طويل واسع مشقوق من الجانبين بمحاذاة الساتين ويكون عادة مطرزا بهاء الذهب او الفضة ، ويتصل به احيانا غطاء للرأس من نفس القماش ، ولقد كنت اظن ان الساري — وهو اللباس الوطني للبراة الهندية — هو وحده اللباس المثير ، ولكنني بعد مشاهدتي ملابس نساء المغرب ايقنت ان هناك ما هو اكثر اثارا وبروعة وفتنة ! ويبلغ ثمن القفطان المطرز الفا وخمسمائة درهم والدولار الايركي خمسة دراهم وبعض القفاطين يصل ثمنها الى الفين واهيانا الى ثلاثة الاف درهم . اما القفاطين العادية فان ثمنها يبدأ من مائة وخمسين تقريبا الى خمسمائة درهم . وحين سأل الاستاذ السداح صاحب المتجر عن القفاطين قائلا : الذي قفطان مزيان ؟ رد عليه : وخا !! بتشديد الخاء اي نعم او حاضر ! قفطان مزيان كاين ، اي قفطان جميل موجود ، والجملة صحيحة ونصيحة ما عدا وخا ، فاني لا ادري من اين هي ، ولعلها لفظة بربرية وما اكثر الالفاظ البربرية في لغة أبناء المغرب ! وحين اقترب بنا احد المسئولين قال له صاحب المحل : الله يحن فاميرف ونحن نقول هنا الله كريم ، او الله يعطيك ، ومددت يدي الى قفطان لاتنقصه وما عرفت انه قد بيع لمغربية واتمة بجنابتي فنبهتني بادب جم قائلا : سيدي « ديالي ديالي » وديالي بمعنى بتاعي باللهجة المصرية او حتي كما نقول هنا في الكويت ، والمغاربة رجالا ونساء يستعملون لفظة





سجين التجربة

التجارب — التي بدت غير ذات بال في بداية الامر — حتى في اتجاهاته الفكرية المعاصرة وتلوين نظرتة الى الحياة بلونها الخاص .. فاذا به منجذب لهذه التجربة لا يكاد يستطيع منها فكاًكا بالرغم من تقدم السن به وتفتح عقله على كثير من امور الحياة والناس ..

●●

ارتفع المويل في بيت الجيران ندفع

جد في حياته ما يثير ساكنها ويحرك كواينها ... وهكذا يجد الانسان نفسه مدفوعا عاطفيا وبالتدرج الى الخضوع لهذه التجارب فاذا بها تتحكم في بعض مظاهر سلوكه وتقلص بعض دوافع مطالبه وتحول احيانا بينه وبين اقدامه على الامور ، وذلك لفرط ادراكه ما قد يتبع ذلك من مرارة القتل ووطاسة الخيبة .. بل قد يحدث في بعض الاحيان ان تؤثر هذه

بواجهه الانسان احيانا في طفولته المبكرة تجارب معينة قد تبدو في اعين الغير تافهة محدودة الاثر .. الا انها بالنسبة اليه ، في سنه الفضة هذه، امر هام بالغ الخطورة ... بل ان بعض هذه التجارب قد تعيش في مخيلته طويلا ، لا يكاد يحجبها منها تتابع الايام واختلاف الحوادث ، فتظل ترهق ذاكرته — بين الحين والحين — بصورها القاسية المولدة كلما



بقلم على زكريا الأنصاري

والتوايح فما بال هؤلاء الطارئات من
الاقارب والجيران ؟.. هل ان ما يراه
حقا لوعة وحزنا ؟.. او ان التيسار
جرف الجميع فصرخوا مع الصارخين
وتذبوا مع النادبين ؟.. ولكن هذا
التيار لا يمكن ان يجرفه مع غيره ابدأ
.. ولا يمكن ان تنز دمة من عينيه ..
فهو غير متأثر اطلاقا بما حدث ...
صحيح انه شاهد المتوفي مرات
عديدة خارجا من بيته او داخلا اليه
.. بل انه كثيرا ما حظي منه بتحيةة
مشفوعة بابتسامة ، و احيانا بقبلة
بودة وترحيب .. الا ان فقدانه لم
يحرك ساكنه الداخلية ولم يثر كامن
شجونه ... انه لن يشعر في قلبه
بفراغ اذا هو لم يره مرة أخرى في
الشارع او حرم من ابتسامته الودية
او قبلة الابوية .. ان منظر (حوش)
بيت الجيران وهو مكتظ بالسيدات
المحجبات اللطيفات بالسواد وهن
منغمسات في فزعهن وصراخهن
اضطرابهن لا يدعو للتسوية اليه
ان يكون منظرًا سلبيا جديرا بالفرجة
في بيئة عزت فيها بمظاهر الضليعة
ووسيلة لالتلذذ الترفيه ... الا ان الذي
استلقت نظره بالذات منظر ابن
«الفريج» صالح وهو مشغول جدا في
موااة الحزائي .. فهو يقدم الماء
لهذه ويلطف بالكلام تلك ويهدئ من
روح السيدات المفزوعات بأسلوب
وحب لطيف وبفصاحة يحسد عليها.
وكان مسعرا يسمع باذنيه كلمات
الاطراء والاعجاب بهذا الولد الشهم
التبيه التسلط (هب الريح) من
بعض السيدات بما ادخل في روح نفسه
الحساسة المرهفة انه يبدو امام الناس
بالمقارنة الى زميله غاية في الصغار
والنقاوة وعدم الاهمية مما جعله
يشعر في قرارة ذاته انه مقصر فعلا
عديم الفائدة .. فهو بالرغم من قلبه
الجلود الجايد الذي لا يشارك
المتألمين في مصيبتهم فانه عديم الجدوى
.. وان وجوده وعذبه واحد ...
ونقصت عليه هذه الاحاسيس ما
يشعر به من تسلية وترويح لما

يشاهده من هرج الحزن ومرج الصباح
فاتسل من البيت خجلا ضيق النفس
كانه يتحاشى نظرات الناس .. وقد
استقر في ذهنه ان يسلك الطريق الذي
سلكه صاحبه صالح في مثل هذه
المناسبات الحزينة ، فيشارك الحزائي
ان لم يكن بالبكاء والعويل ، وهو ما
لا قدرة له عليه لا يحسن تبليغه ،
فعلى الاقل بالمساهمة في التخفيف
عنهم بالكلام اللبق اللطيف وبالماء يدور
به عليهم ويرش به على وجوههم ان
استدعى الامر .. فهو لن يكون أقل
نهاة وكباة وشهامة من زميله
صالح ...



ودارت الايام دورتها .. كانت
ليلة من ليالي الصيف الصفاة
الخاتمة .. وكان الوقت الربع الاخير
من الليل .. وكانت العائلة كلها تغط
في نوم عميق على السطح .. وكل ما
يعلمه صاحبنا في تلك اللحظة ان حلما
مرعبا مرعبا كان يشغل عقله الباطني
اخططت فيه الحوادث اختلاطا بحيث
لا يفكر من مناظره المزججة في عقله
الواعي الا دماء تسيل ولحما يتقطع
وانينا يتردد ووجه عمه يتقاطيعه
المفضنة وعيونوه الغائرة البيضاء
وسحنة الحزينة يطل في ضباب
مشاهد الحلم .. واستيقظ آخر الامر
على صراخ في حوش البيت فالتفت
بان كل افراد العائلة موجودون تحت
مع بعض الاقارب .. ونزل وهو يفرك
عينيه لازالة اثار النوم .. واستلقت
نظره بمنظر ابن عمته وهو يسبح
بصوت جهوري ويفرك يديه كأنهما
حقا :

— آه يا عمي .. رحمة الله عليك
يا عمي .. يا عزيزنا .. يا غالي
علينا ... ورددت معه من الطرف
الاخر والدته — اخت الفقيد — وهي
تبكي وتلمم على وجهها ..
— (اخوي) راح .. (اخوي) مات
.. اعينوني .. سامعوني . السكين
مات في غربة .. بعيد عن اهله
واجباه .. يا حصرتي عليه ..

حب الاستطلاع صاحبنا الصغير الذي
كان حينذاك لا يتجاوز الثالثة عشرة
من عمره الى الذهاب الى حيث ارتفع
العويل للاستطلاع والفرجة ... كان
ما يراه في بيت الجيران سوادا في
سواد ، نساء كثيرات من اهل السدار
ومن الاقارب والجيران اكتظ بهن
الحوش .. كلهن حضرن للمشاركة
في الصباح والطمم والتحصن على رب
العائلة الغالي الذي اخططنه يد
النون ... وعجب صاحبنا من نفسه
.. كيف لا تسرب الحسرة الى نفسه
كغيره من الناس فيلطم مع اللاطمين
ويصرخ مع الصارخين !! هل ان
قلبه قد من حجر او ان هؤلاء النسوة
يتظاهرن بما ليس ميهن ؟! ولكن ..
اذا كانت الحسرة قد فطرت قلوب
اهل الفقيد والجاتهم الى المصباح

يا عذابي بعده ..

ولم تقصر والدة صغيرنا في التجاوب مع الناجحين فهي بعد اخذت المنزلى .. فصاحت وبكت وتحسرت وهي تردد :

— المسكين اخي .. الف رحمة تنزل عليه .. مات غريب .. مات شهيد .. كان اطيب الناس واكرمهم .. المسكين .. انني لم اره من زمان ... يا ليتني رايتُه قبل وفاته ...

وشارك بعض الموجودين الآخرين من الاهل والاقارب في هذه المظاهرة من التماسي والحزن .. اما صاحبنا الصغير فلم يحرك ساكنا .. ولم يزد موقفه على التفرج على ما يحدث .. ولم يستطع ان يشارك النادبين على المم مشاركة وجدانية صادقة .. انه لا يستطيع ان يفعل ما يفعله ابن عمته فيعمل ويحس ويفكر ويحب لانه لا يشعر بعبءه باي اسى او حيرة .. انه لم ير عمه في حياته الا بضع مرات .. وليس هناك علاقة روحية تذكره به او تشده اليه .. انه لا يستطيع البكاء لانه لا يشعر فعلا انه في حاجة الى البكاء .. لا شك ان ابن عمته هذا مدع كبير .. الامر لا يتظاهر بالحنن .. والامر لا يعود عن كونه تئيبا في تئيل .. هو ومن معه .. قاتلهم الله جميعا .. انه لا يجيد التئيل ولا يمكن مجاراتهم فيما يفعلون .. وهوبد يشعر بفقره بيزنه بأن موقفه السلبي هذا عرضة للانتقاص والاستهجان من الموجودين ... انه يعرف جيدا معنى الابهاءات الصالبة والهمس الدائر ويتشكك في داخله انه موجه اليه لمصانعة قلبه وتحجر عواطفه ... ولكهم مخطلون كثيرا .. انه يحمل بين جنبه تلبا يسيل رقة ووداعة وانسانية ولكنه لا يشعر في وجدانه باي اثر للحنن على وفاة المم .. ولا يشعر نحوه باي ابتنان .. وليس هناك تبادل عاطفة او حنان .. تكيف بحزن اذن على فقدته ...

هذا ليس في مقدوره .. وانتبه وهو لاه في هذه الخواطر الى والدته وهي

تتسائل مختصرة ...

— ولكن ما الذي جرى ... لقد غادرنا الى لبنان وهو في صحة جيدة فكيف توفي ...

ووصل الى مسامحه من يقول :

— انه الذي (ما ينطري) .. انه السل .. اعاذكم الله من شره ... نعم لقد قضى عليه السل في لبنان رغم كل العلاج ..

واغتمت صاحبنا هذه الفرصة وأحب ان يعرض عن سلبسته في مشاركة الحزاني بأن يشترك على الابل في الحديث .. وتوجه بكلامه الى والدته :

— كنت قبل ان اصحو بقليل احلم حلما مزعجا ... لقد رايت في المنام عمي ولحمه يقطع وهماؤه تسيل ..

وصاحت والدة مبتخرة بما قاله صغرها :

— نعم .. ان حليه لا يخلى ..

لا يحلم شيئا الا ويتحقق ... وشعر صغيرنا بالفخر لهذا الاطراء السذي عوفي تلبا عن حرجه وأن كان يشعر بان والدته تبالغ حقا فيما تقول ..

واغتمت بقية النادبين الفرصة فغكروا عن النواح وانصاعوا مختارين الى الانقياس في الحديث عن الفقيد وعن مناقبه وكرم اخلاقه وجبيل طباعه .. وأخذ البعض يحكي قصصا عن مآثره ومحاسن صفاته وغابر عطفه ... وأحس صاحبنا الصغير بأن هذه الحكايات تحتوي على المبالغة اكثير مما تحتوي على الصدق .. وشعر بالنعاس يتسرب الى عينيه فانسل الى السطح وألقى بجسمه على فراشه ووجهه الى السماء الصافية وقد تلاتت كواكبها في اغوار السماء السحيقة وراح يفكر في موقفه من الفقيد ومن اهل الفقيد .. وخجل من نفسه ايضا وأنبها على التمسير ... كان من الممكن على الأقل ان يواسي بالكلام ان لم يستطع التظاهر بالحنن .. وانطلقت في فكره كلبسات التعزية والمواساة التي كان يجب ان يقولها لأتاربه ... كانت الكلمات واضحة

في ذهنه .. فصيحة مؤثرة .. ولا شك انه لو تفوه بها لكان لها صداها الطيب في النفوس ولاستطاع ان يرفع قدره في عيون الغير ويحتل المرتبة التي احتلها زميله صالح في عيون الناس .. وتمثل لخاطره منظر صالح وهو يدور بالماء على السيدات في بيت الجيران بكلامه اللطيف وتصرفاته اللبقة واعجاب الناس به واطرائهم له ... ولكن اني له ان يطمح في ان يكون مثل صالح ! وغفل عقله الواعي عن الصباح في ردة البيت وسرى الى جسمه المستلقي خدر نسيم صباح الصيف الباكر فغطى في النوم وأفكاره الباطنية تدور في فك ما يجب ان يقوله في مناسبات الاحزان والاستحسان الذي يمكن ان يتركه على نفوس الناس والرضى الذاتي الذي يتنمناه على تصرفاته الانسانية السليمة ..



انتبه صغيرنا على ضجيج وضوضاء ... وكانت الشمس قد ارتفعت في السماء ترسل شواظا من نار تبدها ما تبقى من نسبات الصباح البليدة .. وأطل صاحبنا من السطح على الحوش فإذا هو مغطى بالنسوة المحجبات .. كلهن جئن للتعزية على فقد المم الغالي ... وردد صاحبنا فيها بينه وبين نفسه ، وصورة زميله صالح لا تفارق خياله ، لقد جاءت لحظتك ... الفرصة الان مناسبة .. فغيا .. عليك بقلة المساء تدور بها على الوافدات العزيزات ، تخفف عنهن غناء الحزن ، والصر ، والنعش .. ولا تنس ان تكون كيمسا في اختيار الكلام المناسب اللطيف لوماسة الحزاني .. وتقدم صاحبنا الى القلة وقد ابترد ماؤها بنسيم الصباح وحملها ونزل بها الى الحوش خفيا نشيطا متأنلا .. وملا الطابة بالماء ومد يده بها الى السيدات .. ولكن .. بالغرابة هؤلاء النسوة ... انهن يلوين وجههن عنه ولا يتناولن من اليد وتكرر الصد من جانبهن .. فتوجه

الابواج المخلقة وهي تتكرر على
صخوره ورماله بعين زائفة.. وأخذت
مساهمه تنصت الى هدير الامواج
وهو في شبه ذمول .. وحاول جاهدا
ان يخفف من غلواء نفسه ويزيل شيئا
من كربها الطافي .. ولكن ذلك
مستحيل .. ان افكاره لاتلبث ان تعود
تلقاها الى نطاق دائرة احساسه
الزعجة التي لاتكاد تخرج عن رأي
الناس السيء في شخصه واستهجاتهم
لتصرفاته واستصغارهم لشأته ...
ووحد نفسه كلما اشتدت وطأة الحاح
عذاب افكاره يستنشق بقوة ملء رنتيه
من نسيم البحر الليليل كأنه يحاول
بذلك ان يزيل من صدره كابوس همه
الثقل .. ولكن هيهات .. لقد أصبح
منذ ذلك الوقت سجين تجربته .

وجها بالما ؟ ولد من هذا ؟ قليل
التربية) وكلام كثير مشابه .. وشعر
بحرج كبير .. ولم يدرك كيف يتصرف
وتهايله ان النظرات الشفرة كلها
مصوبة اليه غاضبة منتقدة مبتكة ..
فأخذ قلبه يدق بعنف وسرعة ..
وتلاحقت انفاسه وتصيب العرق على
وجهه وعمق احساسه بخجله المزن
وراح يتنمق فيها بينه وبين نفسه مقرعا
مؤنبا (الغني .. الخائب) ...
وغادر جميع النساء يكاد يتعثر بأذياله
.. واعاد القلة الى مكائنها وخرج
الى الشارع يشي الى غير وجهة وقد
اضطربت الإنكار في رأسه اضطراب
مياه المحيط في جو عاصف .. وقادته
رجلاه عن غير وعي او تصميم الى
البحر ، تجلس على شاطئه يراقب

الى احدي عماته التي يعرفها جيدا
ولم تكن موجودة في مظاهرة الحزن
الليلة الماضية .. كانت منهكة في
ندب حظها العائر على فقد اخيها
الرحوم ، والنسوة حولها يهدثن
من روعها ويخففن حزنها (هذه
حال الحياة .. انها لا تدم ل احد ...
كلنا لها .. هم السالبون ونحن
اللاحقون) كان الجميع متشحا
بالسواد لا يرى منهم حتى الوجه ..
واراد ان يشارك الآخرين في كلمات
التعزية .. ولكنه وجد نفسه مترددا
متميها .. ماذا يقول ؟ اين الكلام
المنق الفصيح الذي كان يردد فيها
بينه وبين نفسه الليلة الماضية بكل
ثقة ووضوح ؟ .. لقد تبخر من رأسه
.. الا انه بعد لاي تغلب على شيء
من خجله الملازم له .. وخف احساسه
العقيق بحرج الموقف وتهيبه لمواجهته
.. وزال بعض تردده في تبني التصرف
السليم الكليل بتجنبه المزالق والخطأ
.. وقال لعمته بصوت متخالض ضعيف
غير واضح الثبرات :
— الله يعظم اجرك ..

ولكن عمته لم تنتبه الى ما تقوه به
انتباهها كابل في غبار الزحام والصفيح
وانشغالها الكلي بحالها .. اما
صاحبنا الصغير فبرغم تردده بين
الاقدام والاحجام فقد ملأ (الطاسة)
بالماء البارد ورش به وجه عمته المحجب
(بالملع) الشفاف بحركة مصيبة
مفاجئة .. وكانت غايته تخفيف ما
تعاينه من الحزن والحر الشديد ..
وقد توقع من عمته التناء المستطاب
على هذه الازيحية والاعتنام .. ولكنه
فوجيء بها تصيح فيه منفجرة غاضبة:
— كف عن هذا ؟ .. ما الذي
تفعله ؟ .. ابا صحيح ما تستحي ..
ابعد عني ..

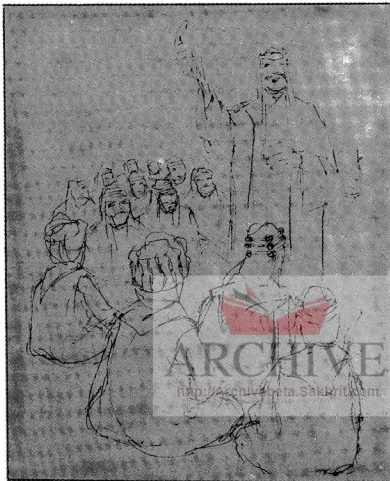
ووصل الى مسامحه همس وهيمية
من النسوة المحيطات بها : (تطيمة
... قليل الحياء .. مالت عليه ..
ما يستحي على وجهه .. حاشر نفسه
بين النسوة .. كيف يجرؤ على رش

المقر الجدي لرابطة الأدباء في الكويت ومجلة "البيان"

انتمت لرابطة الادباء في الكويت ولدار
مجلة "البيان" محرراً فسيحاً، في منطقة العريضة
الغربية - شارع عبد السلام عارف. ونعم
للافتقار الى المقر الجدي في مطلع هذا الصيف

لرقام الهاتف الجدي :

الرابطة = ٥١٨٢٨٢ - ٥١١٠٤٢ - المجلة ٥١٨٢٨٦



من أبطال
الشعراء

المجاهد
بلسانه
وسنانه

كعب بن مالك الأنصاري

والانفاق . والجهاد بالنفس عن طريق اقدام الى
ساحة النضال والكفاح .

ومن هنا قال سيدنا رسول الله صلوات الله
وسلامه عليه : « المجاهد يجاهد بلسانه وسيفه » .
ولقد صدق اصحابه واتباعه هذا القول الكريم ،

ان معنى الجهاد في منطلق الاسلام يتسع وينفصح
حتى يشمل الجهاد بالقلب عن طريق النية المخلصة
في بذل ما يستطاع لوجه الله عز وجل ، والجهاد
باللسان عن طريق الكلمة الصادقة بالحق ، الداعية
الى الثبات والصبر ، والجهاد بالمال عن طريق البذل

وكعب بن مالك هو الذي هجا قريشاً المشركة ببيت موجه ، وكانوا يسبون قريشاً « سفينة » ، لأنها كانت تكثر من أكل طعام حار يتخذ من الدقيق والنسر والسمن يسمى « سفينة » ، فكان الناس يعيرونها بذلك ، وبيت كعب فيها هو قوله :

زعمت سفينة أن ستغلب ربها

وليفلت بن مغالب الفلاب
أي إن كل من يحارب الله جل جلاله فهو مهزوم مقهور ، « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

ولقد قال الرسول لكعب ذات يوم معجبا به ، وبكلماته المجاهدة التي تسهم في نصره الحق والإيمان ، وتواصل مقاومة البغي والطغيان : « انت الذي تقول : زعمت سفينة .. البيت ؟ » .

فقال كعب : نعم يا رسول الله .

فقال الرسول : أما إن الله لم ينس لك ذلك ، لقد شكر الله لك قولك حيث تقول :

زعمت سفينة أن ستغلب ربها

وليفلت بن مغالب الفلاب
وليتنا نهتدي بكعب في هذا المجال فلا ننطق ككرا ، ولا نقول هجرا ، ولا نكتم حقا ، بل نهجر بالقول الطيب الصادق الثابت : « وعدوا إلى الطيب من القول وعدوا إلى صراط الحبيب » ، « يثبت الله الذين

نبايعوا لله ولتوبهم والسننهم وأبوالهم ونفوسهم عن طوعية واختيار . ومن هؤلاء الرجال الإبطال : أبو عبد الرحمن (١) كعب بن مالك بن عمرو الأنصاري ، أحد شعراء الإسلام (٢) . وكان من سابقى الانصرار إلى الإيمان ، وشهد بيعة العقبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي ذلك يقول كعب : « ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام » أي تحالفنا وتعاهدنا .

وقد آخى الرسول صلوات الله وسلامه عليه بين كعب بن مالك والزيبر بن العوام ، وروي أيضا أنه قد آخى بينه وبين طلحة ، والإقران تلقتي بالإقران .

وكان كعب ممن آتاهم الله بلاغة القول وروعة الشعر . والكلمة الطيبة سلاح وأي سلاح ! وهذا هو رسول الله يطلب من كعب أن ينشده بعض ما قاله في الدفاع عن دين الله وتأييد المشركين ، فيستجيب كعب وينشد ، فيقول له الرسول مستزيدا : أيه ، فيعود كعب إلى الانشاد ، وهكذا يستزيده الرسول ثلاث مرات ، ثم يقول لكعب : « لهذا أشد عليهم من مواعع النيل » .

ثم قال له : « انك محسن الشعر » . ثم جعله أحد شعرائه الذين يحمون أعراض المسلمين من المشركين ، والذين قال لهم الرسول مع كعب : « والذي نفسي بيده ، لكاننا نتضحونهم (أي نرمونهم) بالنبل بما تقولون لهم من الشعر » .

ولا عجب في ذلك فكعب هو الذي قال أشجع بيت وصف الرجل به قومه في الشجاعة ، والإقدام ، وهو قوله من تصبده له :

نصل السيوف إذا قرمن بخطونا

قثبا ، ونلحظها إذا لم تلحق
وبعد هذا البيت يقول :

فترى الجاهل ضاحيات هاماتها

بله الأكف ، كأنها لم تخلف
ومنها قوله أيضا :

ويعيننا الله المميز بقوة

فيه ، وصلى الصبر ساعة نلتقي
ونطيع أمر نبينا ، ونجيبه

وإذا دعا لكرية لم نستبق
ومنى ينادي للشدائد نأهنا

ومنى نرى الحومات فيها نعنق
من يتبع قول النبي فأنه

فينا مطاع الأمر ، حق مصدق
فيذاك نصرنا ويظهر عزنا

وبصينا من نيل ذاك بعرفق
إن الذين يكذبون محبدا

كفروا وضلوا عن سبيل الحق



آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء » ، « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، والذين يكتبون السجلات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور » . ولقد كان الشعر في أسرة كعب بن مالك معروفا مشهورا ، فكان والده شاعرا ، وكذلك عمه قيس بن أبي كعب ، وابنه عبد الرحمن ، وكثير من أسرته . وكان كعب يقول أشعرا عن غزوة بدر كأنه قد حضرها ، مع أنه لم يشهد بها ، فإن صحت نسبة هذه الانشعار إليه كانت لونا من التجارب العميق بين مالك وأخوانه المجاهدين يوم بدر .

وقال كعب شعرا في غزوة « احد » منه قوله :
وفينا رسول الله تنبئ امره
اذا قال فينا القول لا ننظلم (٣)
تدلى عليه الروح من عند ربه
ينزل من جو السماء ويُرْفَع
نشاوره فيما نريد ، وقترنا (٤)
اذا ما ائتتهى انا نطبع ونسمع
وقال رسول الله لما بدوا لنا
ذروا عنكم هول القيات واضموا
وكونوا كمن يشرى الحياة تقريبا
الى ملك يحيا لديه ويرجع
ولكن خذوا اسيا فكم وتوكلوا
على الله ، ان الامر لله اجمع

وقال كعب قصيدة في امراء غزوة « مؤتة » ، ومنهم جعفر
ابن ابي طالب ، ومنها قوله :
نام العيون ، ودمع عينك بهمل'
سحا كبا وكف الرباب المسبل (٥)
وجدنا على التفر الذين تتابعوا
قتلى بمؤتة اسندوا لم يُنقلوا
ساروا امام المسلمين كانتهم
طود يوقدهم الهزيم المَسْبِل (٦)
اذ يهتدون بجعفر ولوائهم
ققدام اولهم ونعم الاول
حتى تقوضت الصفوف وجعفر
حيث التقى جمع الفؤاة مجدل (٧)
فتفر القبر المنير لفقده
والشمس قد كُست ، وكادت تاقل
قوم علا بنيائهم من هائهم
فرع اشم ، وسؤدد مقاتل (٨)
قوم بهم عصم الاله عباده
وعليهم نزل الكتاب المنزل

ولكعب ابيات تدل على مروسته وشجاعته ، وفيها
يقول :
قد علمت خير اتي كعب
مفرج القتا ، جري ، صلب
اذ شبت الحرب تلها الحرب
ممي حسام كالمقيق غضب
نظاكم حتى يذل الصمب
نمطي الجزاء ، او يفى التهب
ويمور كعب حالة الجاهد المؤمن الطالب للشهادة
في سبيل ربه ، فيقول :
يرى القتل دمحا ان اصاب شهادة
من الله يروحها ، وفوزا بالحمد

يسفود ويحي عن ثمار محمد
ويذفع عنه بالاسنان وباليد
وينصره من كل امر يريسه
يجود بنفس دون نفس محمد
يصغى بالانبياء بالغيب مخلصا
يريد بذاك المزم والقصور في غد !
ويقول عن الذين صدقوا الجهاد مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم :
وقتلهم في جنان التعميم
كسرام الداخيل والمخرج
بما صبروا تحت ظل اللواء
لواء الرسول بذي الاضوح (٩)
غداة اجابت باسيافها
جبيما بنو الؤس والخزرج
واشباع احمد ، اذ شاموا
على الحق ذي التور والتهج
فما برحوا يفترون الكفاة
ويضون في القسط المرهج (١٠)
وكان كعب يتحدث عن الاسلام في شعره فيقول :
ومواعظ من رينا نهدي بها
بلسان اژه طيب الاثواب
غرضت علينا فاشبهينا ذكرا
من بعد ما غرضت على الاحزاب
جكرا يراها الجبرون بزعمهم
حرجا ، وفيها ذو الالجاب
جاءت سفينة كي تغالب ربهما
وليفلتين تغالب الفللاب
وكان كعب بن مالك يدرك ما للحرب النفسية
من تأثير ، فكان يوجه في تهديده ووعيده للاعداء ،
حتى يدخل في قلوبهم الرعب ، ولذلك قال ابن سيرين :
بلغني ان دوسا انها اسليت فرقا (اي خوفا) من
كعب بن مالك صاحب النبي صلى الله عليه وسلم
حيث يقول :
قضيئنا من تهامة كل نصب
وخير ، ثم اغدنا السيوا
نخبرها ولو نطقت لقات
قواضيهن : دوسا او ثقيل (١١)

حقا لقد كان كعب بن مالك مجاهدا بلسانه ، وما اقوى
سلاح الكلمة اذا كانت قوية صادقة !
وكما جاهد كعب بن مالك بلسانه حرص على ان
يجاهد بسيفه وسنانه ، فشهد غزوة احد وسائر
الغزوات مع رسول الله ، ما عدا غزوتي بدر
وتبوك ، وكان الجهد الذي قام به في غزوة احد جهدا
مباركا مشهورا ، فقد ناضل ثابتا ، وجاهد صادقا ،

واصبى يومئذ بأحد عشر جرحا بجسمه في سبيل الله ، وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحينا اشتد الهول ، واشيع ان الرسول قد قتل ، وانقسم المسلمون لذلك غشا لا مزيد عليه ، كان كعب ابن مالك اول من شاهد الرسول حيا ، فلم يملك نفسه ان صاح يبشر المسلمين بقوله : يا معشر المسلمين ، ابشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسارع الرسول فائشرا اليه ان يسكت ويصمت ، حزرا وحيلة ، وتجمع المسلمون حول رائدهم وقائدهم ، ثم نزع النبي درعه ، واخذ درع كعب غلبه (١٢) . فكان هذا تكريما اي تكريم .

ولما انتهت الغزوة كان كعب قد ارثت ، اي اشفته الجراح الكثيرة ، واوهنت قوته ، فاركبه راحلة ، واخذ الزبير بن العوام بخطلمها سائرا امامها .

وهكذا اثبت المجاهد بشعره وكلامه انه صالح كذلك للجهاد بسيفه وحسامه ، وصديق رسول الله حيث قال : « المؤمن يجاهد بلسانه وسيفه » .



وهناك موقف لكعب بن مالك يدل على شموه بالتبعية ، وادراكه لكانة الواجب ، ورجوعه الى الحق وتمسكه بالصدق . وهذا الموقف هو موقف تخلله عن غزوة تبوك ، مع رفيقين من الصحابة الكرام ، هما هلال بن امية ، ومرة بن الربيع .

وفي هذا الموقف نزل قول الله تبارك وتعالى في سورة التوبة : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم » .

وتحدثنا السيرة المعطرة ان غزوة تبوك جاءت في وقت جذب وشدة وحر ، وان الرسول صرح بها تصريحاً ، وكان في غيرها يلح تليحاً ، وحث النبي المسلمين على الخروج الى هذه الغزوة حثا قويا كثيرا ، ولكن القدر شاء ان يتخلف كعب بن مالك عن هذه الغزوة ، مع كونه تساندا على الخروج اليها والمشاركة فيها .

ويسور كعب حالته بأسلوبه فيقول : « لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها الا في غزوة تبوك ، غير اني كنت تخلفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب احدا تخلف عنها ، انها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد مير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد . ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقتا على الاسلام ، وما احب ان لي بها مشهد بدر ، وان كانت بدر اذكر في الناس منها .

كان من خبري اني لم اكن قط اقوى ولا اسير حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جعتهما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله يريد غزوة ، الا وري بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، غزاها رسول الله في حر شديد ، واستقبل سفرا بعيدا ، وبغازا ، وعددا كثيرا ، فعلى للمسلمين امرهم ، ليتأهبوا ابهة غزوهم ، فأشبههم بوجهه الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظ (اي ليس لهم احصاء مسجل) ، فما رجل يريد ان يتغيب الا ظن ان سيخفي له ، ما لم ينزل فيه وحي الله .

وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، فطفت اغود لكي اتجهز معهم ، فأرجع ولم اتض شيئا ، فأتوني نفسي : انا قادر عليه ، فلم يزل يتنادى بي حتى اشتد بالناس الجد ، فأصبح رسول الله والمسلمون معه ، ولم اتض من جهازي شيئا .

فقلت : اتجهز بعد يوم او يومين ثم الحقهم ، فغدوت بعد ان فصلوا اتجهز ، فخرجت ولم اتض شيئا ، ثم غدت ثم رجعت ولم اتض شيئا ، فلم يزل بي حتى اسرعوا وتقارب الفزو (اي فات وقته وتقدم) وهبمت ان ارتحل فأمرهم ، ولينتي فملت ، فلم يقدر لي ذلك .. » .

ويأتي كعب في المدينة والجيش في طريقه الى المعركة ، وبه من الهم والغم ما الله به علم ، وكان يزيده حزنا واسفا انه كان اذا خرج من بيته ، وسار في طرقات المدينة ، لا يجد فيها من الرجال الا الغنمين بالنفاق ، او اصحاب الاذكار من الضعفاء .

وتروي السيرة ان الرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يذكر كعب بن مالك الا بعد ان صار في «تبوك» فقال هو جالس لمن حوله : ما عمل كعب بن مالك ؟ فتعجل رجل من بني سلمة ، وقال مندفعاً : يا رسول الله ، حبسه برداه ونظره في عطفه (اي التفكير والفخر) .

فقال معاذ بن جبل : بنس ما قلت ، والله يا رسول الله ، ما علمنا عليه الا خيرا .

وسكت رسول الله عليه الصلاة والسلام . ثم سمع كعب ان الرسول قد تاهب للعودة من تبوك الى المدينة ، فزاد همه وتضاعف حزنه ، وجعل يحدث نفسه عن الطريقة التي يخرج بها من غضب الرسول : ايكذب ..؟ معاذ خلال الاسلام . وظل كعب في حديث نفسه المقعد المقيم ، ولما دنا موعد وصول الرسول زاح الباطل عن صدر كعب ، وعزم على ان يقرر الحقيقة كاملة للرسول .

الرسول وهو يسارته النظر ، فإذا اشتغل كعب بالصلاة نظر إليه الرسول ، وإذا التفت كعب إلى الرسول أعرض الرسول عنه ! .

وطال المدى على كعب ، وتوالت الأيام ، وضاعت عليه الأرض ، فذهب إلى بيت ابن عمه : أبي قتادة ، وهو من أحب الناس إليه ، وألقى كعب عليه السلام ، فلم يرد أبو قتادة السلام ، فقال له كعب : يا أبا قتادة ، انتشدك بالله ، هل تعلمني أحب الله ورسوله ؟ ولم يكن هناك جواب ، فأعاد كعب سؤاله فسكت أبو قتادة ، فعاد كعب يؤكد السؤال ويلج فيه ، فما زاد أبو قتادة على أن قال : الله ورسوله أعلم . وهنا غاضت عينا كعب بالدموع ، وعاد وبه من الحزن ما الله به عليم ! .

وذات يوم كان كعب يبول في السوق بالمدينة ، وإذا رجل ينطلي من أنباط أهل الشام قد قدم بطعام ليبيعه في المدينة ، ويقول للناس : من يدلني على كعب ابن مالك ؟ .

ودله الناس على كعب فجاءه ، ودفع إليه رسالة من ملك غسان في قطعة من حرير ، وفتح كعب الرسالة وقرأها ، فإذا فيها : « أبا بعد ، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيم ، فالحق بنا نواسك » . (أي نعاونك) . فتأد حزن كعب وقال : وهذا أيضا من البلاء . وسارع غافقي بالرسالة في النار .

وبضعت الأيام حتى بلغت أربعين يوما ، وهنا أرسل النبي رسولا من عنده إلى الثلاثة المخلفين ليأمرهم بأن يعتزلوا زوجاتهم ، وجاء الرسول إلى كعب فقال له : رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك . فقال كعب : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ . قال : لا بل اعتزلها ولا تقربها . فقال كعب لزوجته : الحق بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر .

وجاءت امرأة هلال بن أمية إلى رسول الله وقالت له : يا رسول الله ، أن هلال بن أمية شيخ ضائع ، ليس له خادم ، فهل تكره أن أخبئه ؟ .

فقال له : لا ولكن لا يقربك . فغالت : انه والله ما به حركة إلى شيء ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ! وهنا قال بعض أقارب كعب لكعب : لو استأذنت رسول الله في امرأتك ، كما استأذن هلال بن أمية أن تخبئه ؟ .

فقال كعب : والله لا استأذن فيها رسول الله ، وما يدريني ما يقول رسول الله إذا استأذنته فيها وأنا رجل شلب ؟ .

وعانت الأيام تمضي حتى بلغ المقدار خمسين ، وكان كعب قد صلى الفجر في دار له عالية ، وجلس

وبلغ الرسول المدينة ، وأقبل كثيرون نحوه ، وقد بدأ بالمسجد كعادته ، عند الرجوع من السفر ، فركع ركعتين ، ثم جلس للناس ، وأخذ أصحاب المساذير يمتدرون ويحلفون ، وكانوا أكثر من ثمانين رجلا ، فقبل منهم الرسول ظاهر إمرهم وعلانيتهم ، واستغفر لهم ، وبايعهم ، ووكل سرائرهم إلى علام الغيوب .

وأقبل كعب بن مالك وهو من خوفه كأنه يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، فلما سلم على الرسول تبسم الرسول تبسم الغضب وقال لكعب : تعال . فغنا منه كعب حتى جلس بين يديه .

فقال له الرسول : ما خلفك ؟ ألم تكن قد اتبعت ظهرك ؟ (أي دابضك) ؟

فاجاب كعب قائلا : بلى ، اني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأمخرج من سطحه بعذر ، ولقد أعطيت جدلا ، ولكني والله لقد علمت لأن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ، ليوشكن الله أن يسخطك علي ، ولأن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه (ان تغضب) اني لارجو فيه عفو الله ، لا والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك .

فأشار إليه الرسول وقال : أبا هذا فقد صدق . ثم قال له : فمق حتى يقضي الله عليك .

وقسم كعب بجر تقديمه ما به ، وأن قد أراح ضيره بمصدقته وأخلاصه .

وأقبل عليه جماعة يلومونه ويؤنبونه على موقفه وتصرفه ، ويذكرون له أنه لم يذنب قبل هذا الذنب ، وكان يستطيع أن يعتذر إلى الرسول بمثل ما اعتذر به سواه ، فيستغفر الله له . يقول كعب : فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى هيمت أن أرجع فأكذب نفسي . ولكنه لم يفعل .

ثم سأل كعب الناس فقال : هل لقي هذا معي أحد ؟ .

فقال له : نعم ، رجلا قالا مثل ما قلت ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ، هما مرارة بن الربيع العمري ، وهلال بن أمية الواقفي . قال كعب : فذكرنا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيها أسوة ، فضيت حين ذكروها لي .

وهي الرسول للناس عن محادثة هؤلاء الثلاثة ، فاجتنبهم الناس ، وجلس مرارة وهلال في بيتهما ببيكان ، فقد كانا كبيرين ، ولكن كعب بن مالك كان شابا جدلا ، فكان يخرج ويشهد الصلاة مع المسلمين ، ويطوف في الأسواق ، ولا يكلمه أحد ، وكان يقبل على الرسول في مجلسه فيلتي عليه السلام ، فلا يدري : أحرك النبي شفتيه بالرد أم لا ، ثم يصلي كعب بقراب

قال كعب : فاني امسك سهمي الذي بخير .
ثم قال كعب : « يا رسول الله ، ان الله اتىنا
تجاتي بالصدق ، وان من توبتي الا اتحدث الا صدقا
ما بقيت » .

ووفى كعب بوعده ، وحافظ على عهده ، ولم
يبد لسانه الى كلمة كذب ، وقال عن ذلك فيما قال :
« هو الله ما اعلم احدا من المسلمين ابلاه الله في صدق
الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله احسن مما
ابلاني ، ما تعدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم الى يومي هذا كذبا ، واني لارجو ان
يحفظني الله فيما بقيت » .

وتزل القرآن بالتوبة الكريمة حيث قال : « لقد
تاب الله على النبي والمهاجرين والانتصار الذين اتبعوه
في ساعة العسرة ، من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق
منهم ، ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم ، وعلى
الثلاثة الذين خلفوا ، حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما
رجيت وضاعت عليهم انفسهم ، وظنوا ان لا ملجأ
من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب
الرحيم ، يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع
الصادقين » .

ولقد فرح كعب بن مالك فرحا عظيما لان الله تعالى
قد وثقه وهداه الى الصدق حتى قال : « فوالله ما
انعم الله علي من نعمة قط ، بعد ان هداني للإسلام
اهتم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، ان اكون كذبت به فاهلك كما هلك الذين كذبوا ،
فان الله تعالى قال للذين كذبوا حين انزل الوحي شر
ما قال لاحد ، قال الله تعالى : « سيحلفون بالله لكم
اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم
رجس وماؤاهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ، يحلفون
لكم لترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم
الفاسقين » .

ولم ينس كعب الشاعر الفارس المجاهد
الصادق ، ان يفقه نفسه في الدين ، فروى عن رسول
الله ثمانين حديثا حفظها ووعاها ونقلها وعمل بها ،
ثم سار ابنائه على طريقته ، فروى عنه الحديث
ابناؤه عبدالله وعبدالرحمن ومحمد وعبيدالله ، ولذلك
قال التاريخ ان كل اولاد كعب بن مالك قد رووا عنه
الحديث (١٢) .

ومن الاحاديث التي رواها كعب عن الرسول حديث
الشهداء الذي يقول : « ان ارواح الشهداء في حواصل
طير خضر تعلق (اي تاكل) من ثمار الجنة » .
وكان لكعب كلمات حكيمة فيها توجيه وتهذيب ،
ولقد روي انه قال يوما لعمر بن الخطاب : انبئني ما
المثلث ؟

فقال عمر : وما المثلث ؟

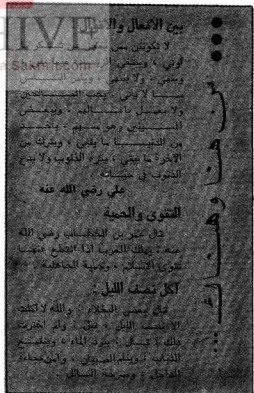
على الحال التي ذكرها الله جل جلاله في القرآن : قد
ضاقت عليه نفسه ، وضاعت عليه الارض بما رحبت ،
سمع صوتا عاليا يقول : يا كعب ، ابشر !
وخر كعب ساجدا لله ، فقد ادرك ان الفرج
قد اقتبل ، وسارع احد المسلمين بالبشرى الى كعب
على قرس منزع كعب ثوبيه واعطاها لهذا البشير ،
ولم يكن يملك غيرها حينئذ ، فاستعار ثوبين ولبسهما ،
وانطلق الى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فلقاه
الناس مهتئين جماعة بعد جماعة ، قائلين : ليهنك
توبة الله عليك .

ودخل كعب المسجد واقبل على الرسول ، فقال
له الرسول ووجهه يبرق من السرور : ابشر بخير يوم
مر عليك منذ ولدتك امك !

فقال كعب : ان عنذك يا رسول الله ام من
عند الله ؟

فاجاب الرسول : لا ، بل من عند الله .

فقال كعب : يا رسول الله ، ان من توبتي ان
انخلع من مالي صدقة الى الله والى الرسول .
فقال الرسول : امسك عليك بعض مالك ، فهو
خير لك .



شذرات

الشك

صبرت النفس لا اجزع من حائلة الدهر
رايت الرزق لا يكسب بالمعرف ولا التكر
ولا بالمقل والبدن
ولا بالجاه والقدر
ولا بالسكّر اللدن
ولا بالخُذْم البُسْتَر
ولا يدرك بالطيش
ولا بالهزل والهذر
ولكن قيسم تجري
بما يدري ولا ندري
التجراتي

النفس والود

هي النفس تجزي الود بالود اهلـه
وان سمها الهجران فالهجر دينها
اذا ما قرين بت منها حبـاله
فاهون مفقود عليها قرينها
لبئس معار الود من لا يـوده
ومستودع الاسرار من لا يصونها
عبد الصمد بن المعذل

زجر التبايع

كتب الظن لا امام سوى العقـد
مل مشيرا في صبحه والمساء
انما هذه المذاهب اسـباب
ب لجذب الدنيا الى الرؤساء
غرض القوم نعمة لا يرقـو
ن لجمع التمساء والخنساء
كالذي قام بجمع الزنج باليه
سرة والقرومطي بالاخصاء
قال ابو العلاء المعري في الرد على من اعترض
عليه في البيت الثاني : المعنى ان الانسان اذا سمع
ما يخالف الشرع دله عقله على فضله ، فكانه اسـام
له . وليس هذا انتقاما بامام المسلمين ، ولكن هو
مثل قولهم : (لا فتى الا علي اي شأنه عظيم ، وان
كان الفتيان كثيرا . ولا ريب ان الاسام ياتم بالعقل
ويتدبر به . وحدث بعض من سافر الى اليمن ان في
جبالهم والمواضع القاصية من بلادهم نحو من ثلاثين
رجلا كلهم يدعي انه (اسام منظر) ، فيجيب اليهم مال
كثير . وكل رجل منهم يتكرّر الباتين ، ويزعم ان سلفك
دمائهم حلال .
فهذا هو الغرض من قول القائل : (كالذي قام
بجمع الزنج بالبصرة) .

قال كعب : « شر الناس المثلث ، الساعـي
باخيه الى السلطان ، لانه يهلك ثلاثة : يهلك نفسه
واخاه واباه بالسعي فيه اليه » .

ومن صنع الله العجيب ان كعب بن مالك الذي
جاهد بلسانه وسنانه ، وتعرض للوبت مرات في غزوة
احد ، كما تعرض له مرات في الغزوات والمعارك
الكثيرة التي خاضها ، كان من المعمرين الذين امتدت
حياتهم عشرات وعشرات من السنين ، فلم يلحق بربه
الا في سنة خمسين (١٤) ، او ثلاث وخمسين من الهجرة ،
حيث توفي بالمدينة في زمن معاوية ، ممضى الى ربه
راضيا مرضيا ، صالحا نقيّا ، رضوان الله تبارك
وتعالى عليه .

ان الجهاد يبدأ من النية العلية ، ويمتد الى موقف
التضحية بالنفس في الميدان ، فمن المستطاع لكل منا :
قويا كان او ضعيفا ، رجلا كان او امرأة ، شابا
كان ام كهلا ، ان يسهم بلسون من الوان الجهاد ، وهناك
فهناك جهاد القلب ، وهناك جهاد اللسان ، وهناك
جهاد المال ، وهناك جهاد التعليم والتقويم ، وهناك
جهاد الميدان ، والله ولي المؤمنين الماملين .
احمد الشرباصي
القاهرة —

☆☆☆

- (١) ومن كناه ايضا : ابو عبدالله ، وابو محمد ، وابو بشير .
- (٢) بل قال عنه ابن كثير : « كعب بن زهير شاعر الاسلام » ،
البداية والنهاية ٨٤ ص .
- (٣) لا نطلق : لا نبيل عنه .
- (٤) فصرنا : غايضا .
- (٥) سحا : موصولا . وكفك : نزل وهطل . والرياب : السحاب .
والسبيل : المنصب .
- (٦) السبيل : ذو السبيل . والسبيل ولد الاسد .
- (٧) مجدل : مطروح على الارض .
- (٨) مسلود مثلث : مجد اصبل .
- (٩) الاضوج : جمع شوج وهو منقطع الوادي .
- (١٠) القسطل : الفيار . والمخرج : القنطرة .
- (١١) العقد الفريد : ج ٤ ص ١٢٨ .
- (١٢) في شرح نهج البلاغة ان النبي طلب من كعب يوم اهدى لجمته
نقيسها ونزع لجمته . ج ٤ ص ٤٤٨ طبعة بيروت والثالثة : الفروع .
- (١٣) الانصاف : ج ١٦ ص ٢٢٦ طبعة دار الكتب المصرية .
- (١٤) قيل مات سنة خمسين وهذا هو الاصح ، وقيل سنة واهدي
وخمسين ، وقيل سنة ثلاث وخمسين . قال ابن كثير : « وفعل
ابن الكلبي في قوله انه شهد بدرا ، وفي قوله انه توفي قبل
اهدي واربعين فان الواقدي — وهو اقدم عنه — قال : توفي
سنة خمسين » البداية والنهاية ، ج ٨ ص ٨٤ .

دَفْنَا الْمَاضِي

تأليف : عَبْد الكريم غلاب
عرض : عبد الرزاق البصير



المستطاع ، وهذا في رأيي لا يعني موافقة الكاتب او رضاه عن هذا الاسلوب في جلب الخدم ، ولكنه اراد ان يعطي قراءة الطؤرة لمفاهيم الناس قبل اتساع افق التفكير وتفتح الاذعان .

ويبضي المؤلف في تفصيل عوائد الجيل الماضي ومفاهيمه باللوب يشد اليه القارئ لما يوجد في هذا التفصيل من ترابط محكم ووصف دقيق لتلك التقاليد والعوائد التي اصبحت غريبة على هذا الجيل . فالفرد منا لا يكاد يفهم ما كان يصطلح عليه الناس في الماضي من وجوب انقياد العائلة والخدم لاوامر مسيرها حتى ولو كان في هذه الاوامر انتهاك للحرمان ، كما ان الفرد منا في هذه الايام يستغرب تصديق عقول الناس لما يقوله المهورسون عن الجن والمفاريات ، فقد صور المؤلف في هذا الفصل ، تلك الشخصية الرزينة الوقور التي يحترمها الناس ويكبرونها اعظم الاكبار ، صورها على حقيقة امرها ، وانها كانت متقادة الى غريزتها الجنسية لا تبالي بما يجره هذا الانقياد من تأثيرات نفسية على افراد العائلة ، فظاهاها يخالف باطنها والشخصية التي نعنينا هنا هو الحاج محمد . ذلك الذي مالت نفسه الى خادمته ياسمين وانتهر غياب زوجته ، فما هي الا ان تسراها بالرغم من مقاومة الخادمة العنيفة ، فلما علمت زوجته بالامر وثارت لكرامتها ، ازداد عنادا واصرارا واستمر في نهجه مبررا ذلك بأنه الآبر الناهي فلا يجوز

من كان يشك في وحدة الادب العربي ، فبقراءة هذه القصة التي كتبها اديب من اديباء المغرب العربي ، فانه لا يكاد يبضي في قرائنها حتى يجد نفسه امام ادب عربي رفيع . اما وطن الكاتب فانه لا يكاد يظهر الا في اسماء ما يرد في القصة من قرى ومدن ، وفيما يصور الكاتب من تلك القرى والمدن المغربية . اما ما عدا ذلك فانه ادب عربي سليم يجتذب قلب القارئ ولبه .

تبدأ هذه القصة بصغة شيخ من شيوخ الجيل الماضي متسبا بالرزانة والوقار ، قريبا الى قلوب سكان الحي الذي يعيش فيه في مدينة فاس ، بالرغم من انه شديد في معاملته . لكن خصاله الاخرى تجعله محببا في قلوب الناس . فقد كان رفيق الاخلاق خالما في نصحه يملك تجربة غنية في حياته . وكان له قصر متوسط ملاء باولاده وخدمه . وقد اوضح لنا الكاتب ان المغرب يشبه بلاد المشرق في طريقة جلب الخدم الى المنازل . اذ كانت الوسيلة الى ذلك هو ان بعض اولي القوة والباساس يذهبون الى القرى النائية فيختطفون الفتيات الصغار ، وفي هذا الفصل من هذه القصة تتجلى لك رقة الكاتب وكرهه للعنف والغلظة . فقد صور الفارس الذي اختطف احدى الفتيات الصغيرات بلانه قوي ذو حزم وعزم ، ولكنه كان رؤوفا بترك الفتاة ، حاول بكل ما استطاع ان يبعد الخونة والرعب عن تلك الطفلة المخطوفة حتى انه اوصى النحاس الذي وضعها عنده ليبيعهما بأن يرفق بها قدر

حدث هو ان الحاج محمد لم يقترب من مسجد القرويين .
وانتهر احد اولاده التحصين لحطاب الشعب . وكان
المؤلف موفقا في نظراته حول تفرقة ذلك الوالد الانتهازي
في المعاملة بين بعض اولاده من ابناء الشريفة وابناء
الخاصة ، ان ذلك تجد في تلك الوقت وصفا صادقا لما
يعمل في نفوس الظالمين .

وأحب ان يلمس القارئ بنفسه قوة اسلوب
المؤلف في هذه القصة وذلك بان انتقل له بعض سطور منها
يقول المؤلف : « سجن الليل وهب نسيم غربي معتدل
على المدينة التي ظلت تنظلي في جحيها اللامع وانطفا
وهج الشمس الاغبش ليفسح المجال لسكون الليل
الطامع بالانباتي العذاب . والليل في مدينة فاس ، حينها
يشهد اوار الصيف فيها سكنة تنزل من عالم علوي
ينظرها الفاسيون كأنها ينتظرون نعيم جنّة رضوان
فينفخون من جلابيبهم وقطاطينهم وينحرون من جدران
الغرف وسقوفها العالية الى فسحة المنزل الواسعة
التي تلتقي فيها تيارات تنفذ من كل منفذ لتحمو اثار يوم
قاس عنيف » .

وانت لا تكاد تتم قراءة هذا الفصل الا تجد فيه
تقاربا شديدا بين عوائد الناس وتقاليدهم في هذا الوطن
العربي السبيح في الجليل الماضي . فالوالدان هما
الامران الناهيان في كل شيء ، وهما اللذان لا يمكن لاحد
ان يرد لهما قولا ، فلها الاختيار في كل شيء . وفي
الغالب الامر يكون سلطان الوالد اشد واغوى ، فلا
يجوز للذي ان يختار رقيقة حياته ولا يجوز للفتاة ان
تطيع والديها حين يختاران لها رفيق حياتها ، وكل عائلة
تسعى الى مصاهرة من يماثلها من الناحية المادية والناحية
الاجتماعية . والفاس في ذلك الجيل يسبحون في بحر من
المجاهلات التي ربما تعني عكس ما يظاهرون به ، ثناء
عامر ولكنه لا يعني شيئا في كثير من الاحيان . والايات
الكريمة والاحاديث النبوية كثيرا ما تتخذ وسائل لكسب
المنافع المادية ولا سيما حين يتحدثون عن المهور والمغالة
فيها وما الى ذلك من الامور . كما انك تجد في هذا الفصل
وصفا صادقا لما عليه الناس من عادات في الزواج
وحفلاته . وما يجره ذلك من اوراق وتعب على اسرة
العريس ، وجهل الفتى والفتاة بما يعنيه الزواج من
استجابة للفراتر . وما يجلب هذه القصة الى النفس ،
مصاحبة خيال المؤلف للمطيق ، ان انه قد اختار من تلك
الاسرة الحافظة شابا انتدع في مقارعة الاستعمار
الفرنسي حتى آل به الامر الى السجن والتعذيب ، ولكنه
لم يختر هذا الفتى عبنا وانما ادخله المدرسة اولا وتركه
يمضي فيها جادا ذكيا حتى اذا ما تفتح عقله انضم مع
الناضلين . فكان المؤلف يريد ان يقول ان التقنيف
والتعلم هما السبيل الى غرس روح الوطنية في النفوس .

لأحد مخالفته بحال من الأحوال . ثم كانت نتيجة هذا
التسري طفلا ذكرا ، كان محببا في مبدأ الامر عند
الجميع ، ولكنه حين بلغ بدأت خدوج زوجة الحاج محمد
تضيق به وتكرهه حتى بلغ من شدة ضيقها به انها
نهته عن ان يدعوها امة ، وكان والده الحاج لا يساويه
ببقية اولاده كما انه لا يساوي امة الخادمة ياسمين
بزوجته الاولى خدوج ، والمؤلف ينفذ عند هذا الامر وقفة
طويلة يصف فيها ما حدثته التفرقة في المعاملة من جروح
في نفس الجارية والفلاح ، كما ينطرق المؤلف الى خصلة
أخرى من خصال الحاج محمد تلك هي معاملته مع
الفلاحين ، فهو يتهمهم دائما بالفسق وعدم الاخلاص ،
وكان الفلاحون يتقبلون ذلك لانهم تعودوا على ذلك .
وكانوا يؤكدون له بالايام المغلفة انهم مخلصون له غاية
الاخلاص ، وكانوا يتقبلون له بكل وسيلة ، يتقبلون بديه
ورجليه ، ويثنون عليه وعلى ارضه وعلى اولاده ، لكن
احدهم اخذ يضيق بهذا الاتهام ويخشاها وبدا بنفسه عن
نفسه بان حدث زوجته الفلاحة بقصة الارض التي تدر
بكل الخير للحاج محمد واسرته ، وجلة القصة ان هذه
الارض كانت لابيه وعنه ثم استدانوا من سادتهم الاغنياء
فمنعهم فقرهم من تسديد الدين ، فما هي الا سلوا
ارهم لاولئك الاغنياء ، فهل الارض ارض الفلاحين
ام ارض تلك العائلة الغنية ؟ فاجابت الزوجة قائلة
لا تظهر هذا ولا تتحدث به لاولئك التالحين ، لانك
ان فعلت ذلك فسيطردك الحاج وتبني مشردا ، على ان
المؤلف يصف هذا كله في قالب مشوق مارا بك في
عروق شتى كوصف ما يحدثه الربيع في فاس من نشاط
وبهجة حتى ان معظم الناس يخرجون الى الحقول
والضياع بأهلهم واولادهم يتفنون انفسهم
المتمشية ، ولا ينسى المؤلف ان يوضح لك شره الحاج
محمد الذي يظاھر بالرزانة والوقار الى بعض الفتيات
البديويات .

كما انه لا ينسى ان يظهر لك انهزام هذه الشخصية
وجبنها حين تجد الامور ، فقد ترك الاقتراب من مسجد
القرويين حينما استاء الناس في فاس من فصل
الفرنسيين بين البرابرة والعرب ، فاحذوا يدعون الله
في المسجد بان يفرج عنهم هذه الغنة ، على ان المستعمرين
قد بلغ بهم التحدي للشعب منهته اذ امروا الناس ان
لا يدعوا الله في المساجد . فغاضب التجار عن فسخ
متاجرهم مابر الفرنسيون احد اعوانهم بان ينادي في
شوارع المدينة بفتح الدكاكين والمتاجر والا اخذ بالشدة
كل من لم ينته ويضع الاوامر الى جانب جلد كل من سعى
بجمع الناس للدعاء في مسجد القرويين .

كان الغرض بذلك الشخصية التي تتظاهر بالتهدين
ان تتصلر للدعاء في المساجد على الاقل . لكن الذي

تأملات الحلاج في الزمن الفار

شعر: نبيل ياسين

وثن راسي ، ووجهي حضرة
والقني سادان يمسح عن وجهي حناء التذور
وثن راسي تبريه الرياح
وثن يحرق تابوتي تنسبياً ، وأهدابي بخور
وحيني امرأة
رشقني من نذاياها بماء العشق ، مستني بكفيها ،
استحصال الوجد ،
في قلبي رمادا
وتوراخي ، نهايات كسامها الملح وجهاً ،
واستعارت من غبار الصيف ، والزلل غدا
غير اني
فارس يأتي على متن الرياح
يهب النسوة فيروزاً ، لعل الصيف ، يوبك ،
يخضب الاحزان في القلب نبيا
حين يأتي
يشم النسوة ، في الإثداء جرماً ،
لو فوته الريح ، ما يسكب غير الحزن في كفي .
وفي الملح في قلبي ، وغير الرمل في حنجرتي .
غير اني
ملك لو تخلص الريح الى حافر خيله
لأنها دية
ولزكي حافر الخيل اليها .
وانا
شاعر يعرف ان يفتح في مملكة التهذد دروبه
شاعر يعرف ان يفتح عيني امرأة
ويصلي فيها
ثم يبكي ،
ويخفي في التجاويف هروبه
غير ان الانبياء
باركوا هذا اللون
لم ازل من زمن السبي وليدا
ما استباحث شقني الريح في خمر ،
ولا باركني السيف في ضربة سيف
وانا الجرح الذي صار ربابه
وانا
شاعر يفتح للريح كتابه
وانا
عاشق نوب في الجرح شبابه
وانا
ظمن اتعبه الحذاء ، يرتاح على شاطئ الفرات

ومن اطرف ما يواجه القارئ في هذه القصة ان المؤلف ينصف الفرنسيين كل الانصاف ، يصور لك اضطهادهم وتعذيبهم للوطنيين ونهبهم لخيرات البلاد . ثم يعود فيصور لك الجانب الاخر من الفرنسيين وهو الجانب الحضاري ، فاعلم الفرنسي يفرس في طلبه حب الوطنية وروح المساواة والمبادئ الانسانية ، كما يتخيل المؤلف فناء ظريفة مثقفة ذات وجه صوب تنصل بشاب مغربي عاتى كثيراً من الاضطهاد والتعذيب في سجون الفرنسيين ، فتعجب به ويعجب بها بحيث تدعوه الى منزلها . وحين يزور العائلة الفرنسية يرى اقبالاً وفيها صحياً للحياة . مما جعل السيدة الفرنسية تحتفظ بحيويتها وجمالها ورب العائلة يحتفظ ايضا بنشاطه واثاله على الحياة . وهو اسلوب لم اشده فيها تراته من قصص او بحث يصف المستعمرين . وانا الذي نعرفه من كتابنا بانهم اما ان يكونوا متقادين للاجنبي معجبين به لا يظهرون الاحسانه ، واما ان يكونوا اعداء لا يتحدثون الا عن سيئات عدوهم وقسوته ووحشيته . واكبر الظن ان المؤلف يريد ان يلفت انظار مواطنيه في مشرق الوطن العربي ومغربه الى ان الفهم الصحيح للحياة يزيد الانسان نشاطاً وحيوية . وان الاسلوب الذي يتبعه في الحياة كان تنصرف عن ملذات هذه الدنيا وطيباتها وان تعرض عن التمتع بثقوى الفنون والتألبان جمال الطبيعة وان نهلا نفوسنا وعقولنا بالخوف من الموت وان هذه الحياة ظل زائل او ان نسر في اللذات كسل الاسراف ، او ان نحيا حياة مزدوجة بهلوة بارتعاشات الضمير ، كل هذا النهج يجعلنا غير متلائمين مع عصرنا الذي وصل فيه الانسان الى ما لا يستطيع ان يدركه او ان يصدق ابائنا لو حنثتهم عنه . لكني اخذ على المؤلف اطالته في بعض الاوقات في وصف امور قد تجلب السام الى القارئ ، من ذلك انه وقف طويلاً في تفصيل مرض الحاج محمد وهو شخصية اشرت اليها قبل حين في هذا الحديث . وقد يكون قصد المؤلف من وراء ذلك ان يعطي الجيل الحاضر صورة واضحة لفئة من الناس ، كانت في الواقع تحيا قبل عدة قرون وان كانت تعيش في هذا القرن .

وجملة القول : ان هذه القصة عمل ادبي رائع . لا ابالغ اذا قلت بانها جديرة بان تجعل مؤلفها ممن الخالدين ، ففيها دلالة واضحة على ان مؤلفها يمتلك موهبة ادبية وثروة فكرية واسعة ، وكما كنت اتنى ان تأخذ سبيلها الى التمثيل لانها خير من كثير من القصص التي مثلت على مسارحنا في القاهرة وبغروت وشاشات السينما ، اذ انها مليئة بالحركة التي تجعل المشاهد منجذباً اليها كل الانجذاب ، وفيها عدا ذلك تنقيف للمشاهد بما نحن في امس الحاجة اليه .

عبد الرزاق البصير



ادبنا في ميزان النقد الأجنبي الواقعية في ثلاثية

نجيب محفوظ

و «رادوبيس» ١٩٤٣ ، و «كفاح طيبة» ١٩٤٤ ، مسرّجاً في هذه الأعمال أحداث الماضي العميق .
والكتاب يعرض اصداءها المعاصرة ،
فهكذا في الرواية التاريخية تقع «رادوبيس»
الراقصة في غرام حفيّر لفرعون الملكة القديمة ،
ويناضل الكهنة ضد هذا الملك الفاجر ،
ونعها يرى المصريون صورة واضحة للبلكة
المهذلة لك مصر السابق فاروق ، ونزوانه

بالخماس السياسي ، الهجوم الجريء على مصر
الملكية القديمة ، الذي ظهر بوضوح أكثر في
انتاج نجيب محفوظ ، وخاصة في المستقبل .
وفي الفترة التي كانت فيها مصر تسببه
مستعمرة ، كان الماضي الجيد للبلاد يجذب
اهتماماً خاصاً لدى الكثيرين من الكتاب .
وكان نجيب محفوظ شغوفاً — منذ سني
الجامعة — بتاريخ مصر ، فكتب عنه عدة روايات
تاريخية هي : « عبث الاسدار » ١٩٣٩ ،

ترجع بداية العمل الأدبي للكاتب المصري
المعاصر الكبير نجيب محفوظ ، الذي ولد عام
١٩١١ ، إلى نيف وثلاثين عاماً ، حيث تخرج في
جامعة القاهرة عام ١٩٣٤ .
فلقد اخذ نجيب محفوظ يساهم في تحرير
المجلة الأدبية الاجتماعية — مجلة « الرسالة »
وفي عام ١٩٣٨ اصدر أولى مجموعاته القصصية
« هبّس الجفون » ، ومعظم قصص هذه المجموعة
مكتوب من موقف كاتب واقعي ، وهي تتميز

التي لا تنتهي مع الرقاصات .

وفي رواية « كفاح طيبة » ينوه ببطولتها وممارستها في الضال عند غزاة مصر القدامى ، وهم الهكسوس ، وكأنه ينوه بضرورة الكفاح ضد « الهكسوس » الجدد ، وهم المستعمرون الانجليز ، والانقراض من اجل نصاغر الشعب تحت علم واحد .

وفي عام ١٩٢٥ - حينما هبت الحركة الوطنية الثورية في مصر - يبيش بها نجيب محفوظ في أولى رواياته الاجتماعية المعاصرة ، وهي « القاهرة الجديدة » ، ومنذ ذلك الوقت تبدأ حياة القاهرة المعاصرة ، وحياة مصر بوجه عام تبدأ تتشكل ضمنون الاساسي في ابداع الكاتب .

ففي « القاهرة الجديدة » يحاول نجيب محفوظ ان ينسج دعائم المؤسسات الرئيسية للمجتمع المصري القديم ، وان يزعزع التقاع عن المعالة المجاورة ، وان يفضح الانانية والطغيانية في الطبقات العليا ، والاتصال في جهاز الدولة ، وان يبرز الاضطراب الاخلاقي للسلطة الحاكمة ، ممثلة في البطل الرئيسي لهذه الرواية ، وهو محبوب عبد الدائم . وفي هذه الرواية يبدع الكاتب صورة للشباب المتحرر ، الذي يحمل الافكار الثورية ، والاتصال المشرقة « كلاجتماعي على طسه » والصحن احمد بدير ، والفيلسوف مسايون « رضوان » .

وفي رواية « القاهرة الجديدة » يتخلل الشعور الداخلي الى التحولات القومية ، وتوقع مستقبل افضل . والروايات التالية لنجيب محفوظ : « خان الخليلي » ١٩٢٦ ، و « زقاق الخلق » ١٩٢٧ ، و « السراب » ١٩٢٨ ، و « بداية ونهاية » ١٩٢٩ - كلها مكتوبة بنهج واقعي ، يصور سنوات الحرب العالمية الثانية ، وواقع القاهرة اثناءها ، ويصور اساسا حياة سكان الاحياء الشبيهة فيها بطريقة تبرز جوهر حياتهم التي تثرى الشفقة .

وهذه الروايات تندرج في سلسلة واحدة يمكن ان نقارنها بالسلسلة الباريسية لزولا او بزاك ، فنجيب محفوظ يعبر فيها بعمق عن الحياة الكثيرة التعقد للبلدية الكبيرة ، ومع ذلك تظل رواية بناؤها الخاص ، المعبر عنها بصروح ، ولها مزاجها العاطفي ، وتوجيهها الخاص .

رواية « خان الخليلي » تنص حياة مؤلف صغير ، هو احمد عاكف ، وفيها يحلل اسباب الانقراض الروحي لاهم ، واخفاخته في حياته الاجتماعية والخاصة . ويقارن احمد صورته بصورة اخيه رشدي المرح ، المحب للحياة ، والمغمس في بلذاته .

والشخصيات الرئيسية في الرواية مرسومة على خلفية الحياة في الاحياء القديمة لخان الخليلي .

وفي رواية « زقاق الخلق » يرسم نجيب محفوظ بصورة اوسع نفس الحياة الشعبية ، وفيها تتشابه بعض الخطوط الموضوعية ، ويتوقف الكاتب امام المشكلات والمخاض الجديدة بالاعتبار لدى الشباب الذي يجسد نفسه مضطرا ان يبحث عن عمل لدى جيش الاحتلال ، ويبرز الفقر والعوز والبطله لدى الناس البسطاء ، كما يبرز غنى التجار (كسليم علوان) ، وتزييف النظام القبايلي في مصر ، والناتج المحل والمخمن لقوات الحلفاء على القاهرة في سني الحرب .

ومع كل هذا الياء في التلون ، والروعة في تكوين الصورة ، والصن في الرواية ، فانه يجسد في هذه الحياة طابع الكآبة والوجوم البالغ الغاية ، اما الاطار الموضوعي الصغير للرواية فلم يكن يسمح للكاتب ان يفسح الشخصيات نحو التطور .

ومن هنا كانت الاستاتيكية المعروفة ، والصورة ذات الوجه الواحد ، ويتأخر الوصاية عند محبوب عبد الدائم في « القاهرة الجديدة » مرسومة بطريقة مفرطة في السواد ، وبلونة بلوان « رومانتية » ، والمؤلف يلذغ بنموته القاسية اسم حديد الخائن ، الذي يهجر الطيبين في زقاق الخلق ، وعيسى الوديع ، الذي اغرقته لبح الرذيلة في جنات الانجليز .

واقعية نجيب محفوظ في هذه الروايات ليست عالية الرنين العاطفي ، وفيها التناقض الرومانتيكي تصور النزعات العوظية ، لكن هذه الملامح في اعمال نجيب محفوظ تبدو اقل

عناوين تبتل اسماء بعض شوارع القاهرة او احيائها ، وهي : « بين الصرين » ١٩٥٦ ، و « قصر الشوق » ١٩٥٦ ، و « السكرسة » ١٩٥٧ .

والضمون الواضح للثلاثية يصور حياة اسرة تاجر ، تبدأ من عام ١٩١٧ في عام ١٩٢٤ ، ولكنها حياة اسرة واحدة كئيبا ، يقوم نجيب محفوظ بن خلقه روح الحفوة التي تشارلوا في رواياته .

وحياة اسرة التاجر التي يصورها هنا تتطور من صورة حياة شبه اقطاعية ، يعيشها الاباء بعد البحث والتفتيش ، والفساد والكفاح والمذابح والالام ، منذ جيل الطفولة ، حتى ظهور قوة شباب الاسرة التي استمدت بدرجة كبيرة للفضال المعطي في سبيل بناء المجتمع القديم .

والجزء الأول من الثلاثية ، وهو « بين الصرين » يعطسنا الى احدى زوايا القاهرة القديمة في فترة الحرب العالمية الأولى ، حيث يصور نجيب محفوظ اسرة التاجر احمد عبد الجواد ، وهو من اصنام التقاليد القديمة ، وقد وضع لاسرته نظاما منزليا رديا ، فهو يتزوج ، ثم ينجب ابنه الكبر باسين ، ويتزوج ابنته عائشة وخديجة ، ويقبضه بمصائب زوجته اجنسة على زيارتها - دون ان ينه - لطرح الحسين ، ويكتشف نجيب محفوظ عن سخافة الوضع الذي وضع فيه التساجر المستبد اعضاء اسرته .

وتجنب نجيب محفوظ خطورة التعسير المباشر من التاجر كخديجة للمخاض السياسي ، وعلى العكس يشير المؤلف الى ازدواج شخصيته ، فنحن من جهة نرى التاجر احمد

بقلم: ي. أ. روشين

ترجمة: رضوان ابراهيم

عبد الجواد وهو رئيس الاسرة ، المستبد الذي يؤدي واجباته في المنزل بصرامة ونهجم ، هو المؤانس المرح في حالوته من جهة اخرى ، ذلك التناوت الذي يقع في شارع النحاسين ، وهو زير النساء الذي يجند اصحابا صديقاته من المغنيات والرقاصات . وبالصور العديدة والبالغة في التفاصيل ، وبالصورة العديدة الألوان ، يصور نجيب محفوظ حياة الاسرة ،

بدرجة مطبوسة مما في اتناج الكتاب الصرين الآخرين ، كما عند عبدالحيد جسوة السحار مثلا .

وحينما ألف نجيب محفوظ رواياته هذه كان يحل بشرط اكثر ضخامة ، يجد فيه انعكاسا لمسور الحياة المصرية خلال مسافات طويلة من الزمن ، وهكذا اخبرته لديه خطة الثلاثية ، واذا هو يخرج في الخمسينات ثلاث روايات تحت

فهر حينما يعبر عن اعضائها يحكى بطريقة حية عن حيويهم واهمالهم وواجبهم ، كما يحكى عن خصائص حياتهم الشخصية الخاصة ، ويريز نجيب محفوظ ذلك الخط الذي يربطهم بذلك العصر وروحهم وزيابهم ومطامهم .

فإذا كانت بداية القرن العشرين هي العصر الذهبي بالنسبة للتاجر الذي يدل به الظلم لجرد غياب الجنود الانجليز عن القاهرة ، فان الابن الاوسط للتاجر ، وهو الشباب فهمي ، يتر بعين حقيقة احتلال مصر ، والإحداث المعاصرة لثورة ١٩١٩ المصادبة للانجليز ، وانكاساتها السابقة على موضوع هذه الثالثة التي تستولي على الشباب الشديد الانفصال ، وتصره في الفصال ضد الانجليز ، فيشترك في لجان الطلبة ، ويوزع القشورات ، ويشارك في المظاهرات المصادبة للانجليز .

ويكتشف التاجر نشاط ابنه ، ويتور في داخل الاسرة نزاع حاد ، غالب يرفض ان يخاطر ابنه بحياته ، حتى ولو باسم الوطن ، بيد انه ليس في مقدوره ان يمنع فهمي من ذلك ، لكن التاجر فيما بعد ، وحينما يقتل ابنه فهمي بعصره الكثير عن الفصال التجار الخليل الذي كان يقوم به ابنه المطيع الجليل ، ويعرف من بعد انه حتى في داخل الاسرة المطيعة تولدت ثورة لا تقمع له .

ويحل نجيب محفوظ — بدقة واتزان — العلاقات بين افراد الاسرة ، ويوضح انها — من الناحية الملعونة الاخلاقية — تنقسم الى معسكرين ، في احدها الرئيسي القوي المصلط على الاسرة ، وفي الاخر بقية الاسرة ومهمسا ايمنة الصابرة الطيبة الودودة ، التي ينظر اليها ابتهاها — ولو انها ضعيفة — على انها خط الدفاع الوحيد امام جبروت الاب ، ولا شك ان هب الابناء لاهم هو الذي كان يقوي تماسك الاسرة .

الا انه بالرغم من التوتر والعلاقات التنافسية في الاسرة لم يبلغ بها الاب الى حد الاعراض او الندرو او الاشفاق ، فالتاجر يصالح زوجته التي كان قد ارسلها الى بيت امها عقاب لها ، والبنات الثلاث في سن الزواج يتزوجن بارادة ابيهن ، ويتقبن ذلك كواجب مفروض عليهن طامته ، ويستسلمن دونها احتجاج ، اما ياسين الذي طلق زوجته فيجد السلولى في الملاهي والخمر ، واما فهمي وكمال الصغر فانهما يقاسيان بقوة الشد وبسبب استبداد والدهما ، خاصة وانهما يعبران عن استنراهما نجاه كل الوان الاستبداد ، حيث يقول كمال فيما بعد : « ان الحياة السياسية في مصر علمته ان يفتن من صميم قلبه كل متكاثروا » . اما النصف الثاني من المجلد الاول من الثالثة ، فهو ملون بحساس الثورة الصارمة المصادة للانجليز ، التي بدأت عام ١٩١٩ ،

والملاحظات على فرع الشخصيات بازاء « القصاد » الالائي ، وابطراطور الماتيا غليم ، (ولهم الثاني) ، وبعض الجنود الاسرائيليين الذين اغرقوا القاهرة بجموعهم ، وهذا كله يضي على الثالثة جوا من التلوين التاريخي .

هكذا يكتب نجيب محفوظ بطريقة جاشرة عن الأحداث الثورية في القاهرة ، وعن مظاهرها المطالبة بجلاء الانجليز ، وعن الخطوة السياسية لسعد زغلول بازاء القنوب السامي البريطاني .

وبين الكاتب ان هذا الفصال التحرري العارم ضد الانجليز كان ملونا بالافكار الدينية بالنسبة لكثير من المصريين ، الذين كانوا يعفرون انهم يقودون ضد الانجليز المستعمرين حرسا مقدسة باسم الله ورسوله .

وهكذا كان فهمي يفتري انه يطرد الانجليز من مصر ، سيقوم على الفور بجمع عائل ، قاتم على المهادي الاسلانية .

وكان لنهاية الماساوية (وهي موت فهمي) صدى اجتماعي كبير ، فقد اظهرت ان الثورة في الصورة في الرواية قد انتهت بالفتن ، وان الفتاح الذي بداء الشعب قد استمر ، ولكن تشاره كانت من نصيب الطبقة الحاكمة أولا وتقبل كل شيء .

وفي المجلد الثاني من الثالثة ، وهو « قصر الشرق » يواصل نجيب محفوظ رسم صورة حياة الاسرة فيما بين عام ١٩٢٢ ، وعام ١٩٢٧ ، وقد بدأ — كما اعتاد من قبل — بتأجيل التحول الذي طرا عليها بعد سبع سنوات ، والكاتب هنا ينتج اهتمامه الاساسي لصورة

كمال الذي اصبح طالبا في معهد المعلمين بالقاهرة .

وتصيح صورة كمال اكثر اهمية من ذي قبل ، لان الكاتب يعرض من خلالها — بعد نقطة الوحي عند الشباب الحصري — بعض لبحت المشكلات والازمات الروحية لجبل شباب المشرنقات ، الذي كان يتابع بيزيد من الاهتمام حياة البلاد السياسية ، ويعاني من خيبة الامل بعد اخفاق ثورة ١٩١٩ — ١٩٢١ في مصر ، ويصيح كمال بالازمة الخلقية والروحية والدينية المعقدة ، كما يحس بخيبة الامل في العقيدة والحب ، ويصل الى مرحلة الشك العميق ، ويكون نابل كمال في وفاة مسعد ، واكتنايه بسبب وفاة اقاربه هو نهاية المجلد الثاني من الثالثة ، تلك النهاية المصوبغة باللون الماساوي .

والمجلد الثالث والاخر من الثالثة ، وهو « المسكرة » يقدم لنا مقدمات بداية الصرب العالية الثانية في مصر ، وهنا يتغير اسلوب المؤلف ، فهو يتعاشى الوصف السهب ، وهو يتحدث بفصالة عن الأحداث والشخصيات . ويحكي الكاتب عن المحولات التي حدثت في حياة اسرة التاجر ، وعن الجبل الجديد جبل الشباب الذي يبرز فيه البطلان بالشؤون السياسية ، وهذا التحديد لمجالات النشاط في الاسرة الى هذا الحد المصروفه ، يعكس الموقف الواقعي لتوى المجتمع المصري في هذه الفترة من الزمن .

البيان

قيل لجعفر بن يحيى البرمكي :

ما البيان ؟ قال :

أن يكون الاسم يحيط بمعناك ، ويكشف عن مغزاك ، ويخرجه من الشركة ، ولا يستعان عليه بالفكر ، ويكون سليما من التكلف ، بعيدا من الصنعة ، بريئا من التعقيد ، غنيا عن التأويل .

الاطمئنان للآخرين لا يجدي دائماً...

اثارت في نفسه عدة تساؤلات دفعته للبراسة الترجمة الذاتية في الأدب العربي ، ثم يترك سياسته كتابي — ربما لبسط على مؤلف آخر — حتى اذا كان السطر الثالث من اسفل العمود الاول صفحة ٥٢ بالجملة ، عاد الى يقالي يتم تعليق السطر التي كان قد بدأها بدون ادنى غفلة — فيما عدا جملة واحدة — بمجرد نها — حتى نهاية المال — وهو ما يجدهم «السياري» في كتابي من صفحة ٤٢ الى صفحة ٤٨ .

اما الجملة التي حذفها و اضاف غيرها فهي بكل امف تدل على جملة بالموضوع وقد جاءت عند الحديث عن تحديد السيرة الذاتية التي قد تتسع لتشمل رواية الرحلات الجغرافية او الاستكشافات العلمية ، واستشهدت بآين بطولها مثلا على ما افول . ثم اردت قتالا انها قد تكون شبه بشهادة هولاك صاحبها فيذكر بيان نسبه ، او شهادة بتقائمه فيذكر ما تلقاه من تعليم ، وشيوخه والذين تلقى منهم « الى هنا يتم النقل » : ثم اردت قولي : في زمن لم تكن الشهادات قد عرفت فيه بعد ، ثم ينتهي ما تلقاه من مناصب . وكنت اقصد بذلك كتابا مثل ابن خلدون في كتابه التعريف . ولكن صاحبنا لم يعمد ما ارى اليه محذف الجملة الاخرى وغرب مثلا بعيدا كل البعد عما اقصد ووسع بطلا من جملة المحذوفة قوله : مثل كتاب الاباء للذكور على ما حسين .

وبلغت جرأة صاحبنا ان ياتي بضم كلامي الذي ابدى فيه رأيي على لسانه ليصبح رايه هو ، وذلك في قولي : وبالرغم من عدم وجود تواصل قاطعة تحدد أين تنتهي السيرة الذاتية وأين تبدأ الرواية ، فله من رأيي ان التوصل الاساسية بينهما يمكن تلخيصها فيما يلي : الخ

وهذه جملة منقولة كما هي من كتابي لا يتخرج من نظمي كائلا دون اية اشارة الى المصدر الذي اخذ عنه . هذا بل من كثير والبقية ذاتي ...

كشف الاديب المعروف الاستاذ يوسف الشاروني — في الملحق الادبي رقم ٥٦ من جريدة (الاخبار) القاهرية ، الصادر بتاريخ ١٩٧٠/٧/١٩ — النغاب عن سرقة قام بها السيد : (مجدي الاسيوطي) « وعنوانه البريدي : — القاهرة ، ١٤٨ شارع القنطرة البولائية » — عندها نسب لنفسه مالا عن (الترجمة الذاتية) ، كانت جعلتنا قد نشرته في مدهدا الماضي ، بناء على ثقة « زائدة » منها ببراسلها من حيلة الظم في عالمنا العربي العريض ... وانصح ليسا بعد انه يتقفل بالحرف من كتاب للشاروني صدر في القاهرة عام ١٩٦٧ .

وليسا يلي ، نشر كلية الاستاذ الشاروني كما وردت في (الاخبار) .. اسلمني لهذا الميت الذي يسبح البعطي لتلسمين بآيتهم ، بينما لا يسع اخبر الجافة ان تزول او تشتغل الزول لآبائنا ، في الظروف الصعبة هذه التي نمر بها ..

قال الاستاذ يوسف الشاروني : « هي سرقة هرب بها صاحبنا من القاهرة الى الكويت فلما سمع انه سيخفي بها هناك! نفس المدد (٥٢) يوليو سنة ١٩٧٠ من مجلة البيان التي تصدر من (رابطة الاباء بالكويت) مثل بعنوان « الترجمة الذاتية » موع باسم (مجدي الاسيوطي) مسروق اوله وآخره بالحرف الواحد من كتابي : « دراسات في الرواية والنص القصصية » الذي صدر من مكتبة الانجلو بالقاهرة عام ١٩٦٧ ، وهو يشك نصف المال تقريبا ، مما يبعث على الشك في مصدر النصف الاخر ايضا .

مقدمة المال حتى السطر الخامس والعشرين من العمود الاول يتضمنها مقدمة بخالي عن « قصة نفس » ، للذكور زكي نجيب محمود مسحتي ٤٢ ، حتى كلمتي صيب ١٩٦٨ . ثم زعم سارق المال بعد هذه المقدمة ان « قصة نفس » للذكور زكي نجيب محمود — وهو موضوع بخالي بالكتاب — هي التي

وفي هذا المجلد الاخير من الثلاثة يقدم نجيب محفوظ ظاهرة الإنكار الجديدة ، وطماح أواسط الشباب المصري ، وهو يحيي نزعة الانطلاق في كمال واحد ، ولكن الحقيقة التاريخية الصحيحة لحس الكاتب الفنان لتترك الرواية « مفتوحة » ، وبهذا لا يتم الكاتب تشخيصها نهائيا للمستقبل التاريخي ، والاحراز الباقى لهذه المهمة في السنوات المقبلة .

لقد احرزت ثلاثة نجيب محفوظ اعتراف الجميع اعترافا شاملا في عالم الادب العربي ، وظفرت بجائزة الدولة في الجمهورية العربية المتحدة ، وقال عنها طه حسين : « انها احسن الروايات المصرية التي قرأتها في هذه الفترة ، منذ بدا المصريون يكتبون الرواية » . ولقد نعمت وزارة الوصف ، ودفعة التعيير من التفاصيل في بعض المشاهد ، دفعت مجموعة من النقاد (مثل رجاء النقاش وغيره) الى ان ينهروا مؤلف الثلاثة بأنه يسر في تبارك المذهب الطبيعي ، ولكن معظم الباحثين « من امثال جوييه ، وصبري حافظ ، ومونثيه ، يصفون اوصافهم الى رأينا ، ونحن نعتبره نجيب محفوظ كتابا واقعيا ، ونعتبر ثلاثيته عملا واقعيا اصيلا ، ومن الممكن ان نفيس ان المنهج الواقعي لنجيب محفوظ يتجلى في الثلاثية متميزا بالزعة النقدية الحقيقية » فالكاتب لا يباحث الاستبداد الملكي والاضاللات الانجليزى فحسب ، بل انه الى جانب ذلك يساقم تلك التقاليد القاسية الكثيرة في حياة الاسرة المصرية التي لم تكن حتى هذه اللحظة قد استؤصلت بعد .

والكتاب يؤكد على أسنة ابطاله الإيجابيين ضرورة وجود النظرية الثورية المستمرة في الحياة والمجتمع ، ومن اجل التمسك بزعيمته هذه يستحق كما يقول هو ، ان يحسن في عداد الشهداء .

وانتاج نجيب محفوظ كتابي ذي نزعة واقعية يعرضي للنظور العميق والمصل ، بانها الى الروايات الرومانسية ، الى الضاليع التاريخية للمصور الخاصة بالفراغنة بالكتاب بعد ذلك يولي وجهه مباشرة شطر حقيقة واقعة الحصري المعاصر ، واضعا في البؤرة من رواياته حياة المدينة الكبيرة — القاهرة — بكل تناقضاتها ومشكلاتها الخاصة .

وسلسلة الروايات الخاصة بالقاهرة مكتوبة من وجهة نظر الواقعية النقدية التي تتميز بالذرة العميقة بالحياة القاهرية ، والتي وصلت بالكتاب الى ابداع الثلاثة الضخمة ، وهي واقعية تنسب ملاح جديدة ، وتتميز بالتجسسل العميق للحياة الاجتماعية للمجتمع المصري مجتمع ما قبل ١٩٥٢ .

رفضان ابراهيم

القاهرة :

اكره يا ابني ان أقتل
اكره دقات بطول الحرب
اكره ان أظعن ، ان انبع ، ان أشفق ، اكره بث الرعب
يَحزنني عالمنا .. ابتاه ... وكم ألهف لو عم الحب
نعميل نبني نروح نلهو
فتلذذ الروح ويصفو القلب

●●●
واراهما يا ابني تايي
نظم البشرية ان نعميل
ذلك آمنت به من قبل وكان لي الهدف الامل
وسخرت بمن يسخر مني
ويلج علي لكي أميل
واليوم أقول لن يسأل
لكني اكره ان أقتل

●●●
لكني يا ابني ساعود
اتفقد احوال الضيعة
واسقي القبح سافره
حصنا من ماء التربة
والتربة يا ابني ... التينة ذات الاعوام التسمه
كم قاستها ورعاها
في تلك الاعوام التسمه
ومعنا لا نقطع منها

●●●
في العمام الاول غير ورق
هل تذكر يا ابني وكذا
في العمام الثاني غير ورق
ولكم عيانا بعد سلا منها .. كم ... كانت تغدق
وقصدنا المندن حوالينا
وجمعنا المال لكي ننفق

●●●
اليوم سيخسدها غريبا
عني اكموام محاصلي !!
واليوم سنقتطف الانوار
بيدي طفيل اسرايلي !!
وستلحق لكتي عزتنا
شفتنا مروض مسلول
وستفرق قطننا السوداء
وجوه خليط مجهول

●●●
كم كنا جلس يا ابني
في ظلال الحور الى التبع
فنثرلر ونشق البطيخ ونجم ازهار الزرع

صفا

استها

الغضب

نازح — حديث النزوح — يخاطب اياه

نبيل عطية

هَلْ تَذْكُرْ نَقْشَ اسْمِي ابْنِي
فِي الْجُوزَةِ ... تِلْكَ ... عَلَى الْجَذَعِ
فَلَيَاتِ الْعَالَمِ وَلَيْسَ هَذَا
اسْمِي الْمَحْفُورَ عَلَى الْجَذَعِ

●●●

أَبَا .. مَا حَلَّ بِمَنْزِلِنَا ؟
مَا تَفْعَلُ ... حِينَ تَرَانِي عُتَتْ ؟
أَتُرَاهَا تَتَّبَعُنِي تَعْدُو
أَتَسَى يَمِينِي وَأَتَسَى سِمَتِي
هَلْ مَا زَالَتْ تَتَخَطَّى السُّورَ وَتَهْتَفِي مِنْ أَوْرَاقِ اللَّفْتِ
أَتُرَاهَا يَا ابْنِي وَضَعَتْ
كُفَّيَّ أَيْدِيَّ لَوْ أَنِّي كُنْتُ

●●●

سِرِّي يَا فَتْحُ - رَعَاكَ اللَّهُ وَسَدَّدَ فِي السَّبْرِ خَطَايَا
سِرِّي قَدْ سَجَدَ ضَمِيرُ الْعَالَمِ حَتَّى يَلْتَمَ مَسْرَاكَ
نَزَعْتَ أَوْتَارَ حَنَاجِرِنَا
فَالْتَهَمِي فِي الصَّمْتِ عِدَاكَ
بَلَيْتِ ادْرَاكِ مَنَابِرِنَا
يَا حَسْرَةَ طَرُوحِ شِمَاكِ

●●●

مَاذَا نَنْتَظِرُ وَكَيْفَ تَتَنَظَّرُ
قَدْ أَوْشَكَ أَنْ يَجْرِفَهَا السَّيْلُ
وَيُلِي ... قَدْ حَانَ الْوَيْلُ لَهُ
يَا عَرَبِيَّا وَلَقَدْ طَفَحَ الْكَيْلُ
أَنْ يُوَفِّقَنَا فِي هَجَّتِنَا
حَزَنُهُارَ أَوْ لَسَعَةً لَيْسَ لُ
فَلْتَبْصُرْ وَنَهْجُورْ وَنَفْجُورْ
وَإِخْيَتِنَا لَوْ ضَعَفَ الْحَيْلُ

●●●

لَمَّا سَيَكُونُ بَابِكُنِي
طَرَدُ الْعَابِتِ فِي أَوْطَانِي
وَيَلُوحُ الْقَدْسُ وَسَحْقُ الرِّجْسِ وَعَيْشُ اطِّفَانِ ثَانِي
سَيَصْفُقُ لِي وَتُبْكِرُكِ
صَلَاةُ الْقِيَامِ وَالذَّانِي
وَتَصِيحُ حَقُوقِ الْإِنْسَانِ
أَسَفًا .. قَدْ كَانَ هُوَ الْجَانِي !!

●●●

يَا ابْنَهُمَا الْأَرْضُ الْمَكْلَى
هَلَّا هِيَ تَلَاتِ اسْتِقْبَالِي
رَحِمَاكَ .. أَحْبَبْتُ أَنْ تَهْزُلَ .. حِينًا .. رَاسَةَ الْأَزَالِ
رَحِمَاكَ غَفُوتَ .. وَهَذَا أَكْذَا.
سَاكُفْ عَنْ سَوْفِ مَعَالِي
صَفْحًا يَا ابْنَهُمَا الْقَضِي
قَدْ كَانَتْ سَاعَةً أَهْمَالِ



— وزارة الاثغال العامة — المشاريع الكبرى
المهندس : نبيل عطيه (فلسطيني)



من رواد
أدبنا
المعاصر

ARCHIVE http://www.beta.sakhril.com محمد عبد الفاني حسن

دار ابن لقمان على حالها
والقيد باقي والطواشي صبيح

كما يمتاز مسقط رأس شاعرنا بجماله الطبيعي على فرع ديمقراط احد فرعي الدلتا وينخبة من اعلام الادب والفكر ، نبثوا على ارضه وفي طليعهم : الدكتور محمد حسين هيكل ، محمد عبدالفني حسن ، محمد عوض ابراهيم ، علي محمود طه المهندس ، الدكتور ابراهيم ناجي ، صالح جودت ، عبدالرحمن الرافعي ، الشاعر الهشري ، احمد حسن الزيات صاحب « الرسالة » الدكتور منصور فهمي ، كامل الشناوي ، جبيلة الملايبي ، فلوري عبد الملك وغيرهم . وكثيرا ما جمعت كافورة البحر الاعظم بعض هؤلاء الاعلام تحت سرحتها ، وقد اشار الى ذلك الزيات في احدى مقالاته . وفي دار ابن لقمان يقول «عبدالفني» :

ولد محمد عبدالفني حسن بمدينة المنصورة من دلتا مصر سنة ١٩٠٧ من والدين عرييين من صعيد مصر من محافظة بني سويف ، وكان اخو جده لاه شيخا من علماء الازهر . اما ابوه فكان موظفا بهندسة السكة الحديد المصرية ، وكان دائم التنقل بين مدن مصر بحكم عمله ، ولما استقر المقام بالوالد في المنصورة ولد له الشاعر الذي حمل قيثارة الغناء في ليل العرب والاسلام !

ومدينة المنصورة تمتاز بتاريخها المجيد حيث واجهت الصليبيين في عهد الملك الصالح نجم الدين ايوب بصلاية وايمان فانهزموا شر هزيمة ، واسر زعيمهم لويس التاسع ملك فرنسا وسجن بدار ابن لقمان التي يقول فيها الشاعر ابن مطروح :

قل للفرنسي اذًا جئتُه

مقال حق عن قؤول نصيح

دار ابن لقمان ما زلت معالمها
فانسأل بها البهو ، أو سائل بها الحجرة
دار افساء على الاسلام صيها
وقفاض منها على الاسلام وانهمرا

●●●

وفي «النصورة» التحق المترجم له بد «كتاب الشيخ عبد المتعال» وقد أبعدته والده عن المدارس الابتدائية ليتباح له حفظ القرآن الكريم ، لان المدارس لم تكن تحفظ القرآن كله ، وقد نذر الوالد ولده للقرآن الكريم ، فاتم الشاعر حفظه عن ظهر قلب وسنه عشرة اعوام ، ثم التحق بـ مدرسة المعلمين الاولى بالمنصورة ، وقضى بها عامين ، وقبل ان يحصل منها على شهادة «الكفاءة» التحق بتجهيزية دار المعلمين سنة ١٩٢٤ بالتقاهرة وحصل منها سنة ١٩٢٨ على شهادة البكالوريا ، ثم التحق بكلية دار المعلمين وظل بها اربع سنوات حتى حصل على شهادة الليسانس في الادب سنة ١٩٣٢ وكان ترتيبه الاول دائما في سني دراسته ، ما عدا عام الليسانس فقد كان ترتيبه الثالث مكر ، الامر الذي اثر في نفسه ، فانشد في ذلك تمهيدة نشرت بد «الاهرام» في يوليو ١٩٣٢ وفيها يقول

تاخر بي ركاب كتمت امضي
اشق به المفاوز والبطاحا
وكتت اصبح في صفى اماما
فاملا جانبي صفى صااحا
وكتت الاول السباق فيهم
فكافحتي الذي عرف الكفاحا !

وفي سبتمبر ١٩٣٢ اختير «عبدالمعنى» في بعثة لدراسة التربية وعلم النفس في بريطانيا نظرا لتفوقه في هاتين المادتين ، وان كان هذا الاختيار لم يعجب حزب الوفد لاسباب سياسية ، فقاومته الصحف الوفدية ، وعلى رأسها المغفور له عباس محمود العقاد في جريدة «البلاغ» ولكن الشاعر غادر مصر الى بريطانيا وودعه على رصيف محطة القاهرة لفيف من كبار الادباء والشعراء على رأسهم: شيخ العروبة احمد زكي (باشا) الباحث والمؤرخ المعروف والدكتور احمد زكي ابو شادي وكابل كيلاني والاديب محمد صادق عنبر والدكتور احمد علوش والسيد الغنيمي التفتازي والشاعر احمد الاسكندري والشاعر عادل الغضبان وغيرهم ، وقد ودعه الاستاذ الغضبان بقصيدة يقول فيها :

سافر فعين الملا ترعاك في السفر
ودع الينا اديبا غار بالوطر

وانهب بلحظك ما تسو القفوس به
واملا فؤادك من وحي ومن صور
ووافنا بجبيل الوصف تطربنا
منه البلاغة في آي وفي سور
وخذ من القوم ما تملو به ادبا
وعذنا غيهم في الكبير والصفر
وكن هنالك شرقا بجول به
دم المروية من بدو ومن حضر
وقد نشرتها «الاهرام» في صدرها ، كما نشرت قصيدة للترجم له بدوع فيها اهله ووطنه منها :

انشر قلاعك يا ربان ان بنا
شوقا الى البحر او ميلا الى السفر
وغنني في الهوى لحننا اردده
في هداة البحر او في جلوة القصر
اخي ! غدا ملتقانا بعد غربتنا
في عالم الفكر لا في عالم النظر
اذا رويت بماء النيل منهجرا
فاذكرك اخاك بكاس غير منهجرا
وان تعطرت من ازهار جنثه
فابعت بشيء لنا من زهره العطر
اماه ! فرقنا التعليم فاحتملي
وباعدت بيننا الايام فاصطبري
غدا اعود اليكم ظافرا طريبا
كما يعود اخو الهجاء بالنظير
وانتظم الشاعر وهو في مدينة «اكستر» بانكلترا في دراستين صيفيتين ببلدتي تور وبرانسون الفرنسيتين وحصل على شهادة في اللغة الفرنسية وآدابها ، ولم يزل - وهو في ديار غربته - دائم الحنين الى اهله ووطنه ، وغير عن ذلك بقصائد كثيرة كانت تنشرها «الاهرام» كقوله :

يا طيور الربيع في ارض مصر
ان قلبي الى الحمى يتحرق
طال شوقي له وظلال حنيني
كل طير لفصحه يتشوق !



بقلم
البدوي
المثم

وكتوله في الربيع وهو ببريطانيا :

عامان يا عيد لم امتع بشهدها

عيني ، واتسع بالآخبار آذاني

ياي البشر على « الاهرام » ينسما

القاه بالفرحة الكبرى وبلقاني

تركت مصر ، وعيني من مسارحها

سكرى ، وقلبي الى جناتها داني

ما ضر لو كنت طيرا في خيالها

اشدو من الشعر افراحي واحزاني

وكتوله وهو في باريس :

اماه ! هل ساعة فتجمعنا

ام هل سبيل لنا فنقترب ؟

وليدكم في اتيلاد يتعبد

محبتكم في البلاد مغترب

يكاد لا ينقضي له سبب

للمعلم الا وراه سبب

وكتوله من قصيدة (ذكرى الوطن) :

لم اتس احاده ولا جمعه

ولا اصلي محيا بيمه

حمى نأى الجسم عن مراته

لكن قلبي ما زال منتجمه

ودعت فيه اهلا واصرة

وامه بالهموم مضطربه

ودعت فيه اشعر الذي حكمت

والجائتي الايام ان اذعه !

وبعد عودته من دراسته الجامعية في بريطانيا

شغل الوظائف التالية :

— عين مديرا بثانوية المنصورة سنة ١٩٢٧

ثم نقل الى القاهرة مدرسا في سنة ١٩٢٨ بمدرسة

الخدوي اسماعيل الثانوية .

— عين مدرسا للترجمة بكلية فكتوريا سنة

١٩٤٤ بالاضافة الى عمله الاصلي بوزارة التربية

والتعليم .

— عين مديرا للاذاعة المدرسية سنة ١٩٤٦ ،

وهو اول من استمعن بمحاضرين من كبار رجال

الفكر والادب والاجتباع والعلوم من خارج الوزارة

للافادة من محاضراتهم البسيطة الملائمة لمستوى

الصفوف المدرسية .

— عين مشرفا على الشعبة الادبية بالجامعة

الشعبية سنة ١٩٤٧ و١٩٤٨ تحت اشراف الاستاذين

امين كحيل والمرحوم الدكتور احمد امين .

— عين استاذاً للادب والنقد بمعهد التثقيف

العالي سنة ١٩٤٦ بالاضافة الى عمله بالوزارة

وكان عميد المعهد الاستاذ زكي طليمات .

— نقل في سنة ١٩٤٧ الى وزارة الداخلية استاذاً

للادب العربي والمجتمع بكلية الشرطة .

— اعيد من كلية الشرطة الى وزارة التربية

والتعليم مديرا لمساعد الشؤون العامة بمديرا

لهاسنة ١٩٥٤ .

— عين في سنة ١٩٥٥ مفتشا عاما للتعليم

الثانوي والتعليم الاجنبي ، وهنا ظهرت كياسته

في توجيه المدارس الاجنبية التي كانت تشرف عليها

هيئات دينية عالية ، وقد اعانه على حسن

التفاهم مع الادارة الاجنبية لهذه المدارس اتقانه

للتغتين الانكليزية والفرنسية .

— وفي اكتوبر ١٩٥٨ استقال من عمله الحكومي

ليعمل مديرا عاما لمؤسسة المطبوعات الحديثة التي

انبثقت من دار المعارف .

— في يناير ١٩٦٣ عين مديرا عاما للنشر

بالمؤسسة العامة للتأليف والترجمة والنشر (الدار

القومية) وظل بها حتى احيل على التقاعد في

اغسطس ١٩٦٧ .

تجلى نشاط « عبد الغني » الادبي على صفحات

« الاهرام » اذ بدأت تنشر شعره في اولى صفحاتها

وفي صفحة الاخبار تحت لقب « شاعر الاهرام »

منذ سنة ١٩٢٧ ، وكان الذي لقبه بذلك المرحوم

داود بركات رئيس التحرير .

وبدا ينشر شعره في مجلة « البلاغ الاسبوعي »

سنة ١٩٢٥ حيث كان يرأس تحريرها المرحوم عباس

محمود العقاد ، وشارك بالتحرير في « المقتطف »

و « الرسالة » و « الثقافة » و « البلاغ الاسبوعي »

ومجلة « الكتاب » (لدار المعارف) وغيرها من

المجلات الرقاعية .

— وعين رئيسا لتحرير مجلة « الناشر المصري »

لسان حال (الاتحاد المصري العام لدور النشر

والمكتبات) سنة ١٩٥٢ بمجلة « بريد الكتاب »

التي كانت تصدرها بصورة « دار المعارف »

للتعريف بانتاجها عامي ١٩٥٥ و ١٩٥٦ وهي اول

مجلة في الشرق العربي للتعريف بالكتب . ثم رأس

تحرير « بريد المطبوعات الحديثة » من ١٩٥٧ الى

١٩٦١ للتعريف بمطبوعات المؤسسة ، فنحري « بريد

الكتاب » التي كانت تصدرها المؤسسة المصرية

للتأليف والنشر من سنة ١٩٦٣ الى ١٩٦٥ حيث توقفت

عن الصدور .

— اول من قام في الشرق العربي بعمل الفهارس

المنظمة والقوائم التعريفية لكتب ومطبوعات دور

النشر الآتية : دار المعارف ، دار عيسى الحلبي ، مكتبة

الانجلو المصرية ، دار الفكر المصري ، مكتبة مصر

بالفجالة ، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، دار القلم ، الدار القومية .

— دعت حكومة الكويت للمشاركة في مؤتمر الادباء المنعقد بها سنة ١٩٥٨ ، كما كلفته حكومة الجمهورية العربية المتحدة القضاء بحاضرات في المراكز الثقافية بدمشق وبيروت وقد احتقت به بدمشق ، وقدمه الرحوم الاستاذ خليل مردم بك في أولى المحاضرات بتقديم كريباء . وفي بيروت القى محاضرات في المركز الثقافي المصري ، وفي جامعة كلية المقاصد الاسلامية ببيروت .

— اختير في مايو ١٩٦٤ عضوا بلجنة النشر بالجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، وفي سنة ١٩٦٦ عين عضوا بلجنة الشعر .

— في سنة ١٩٤٨ عين عضوا باللجنة التي شكلتها الاذاعة المصرية للحكم في اول مباراة للاغنائي والانتاشيد برياسة المرحوم د. احمد امين وعضوية الاستاذة علي الجارم والمستشار القانوني محمد فتحي ومحمد عبد الغني حسن .

— اشترك في وفد ادباء الجمهورية العربية المتحدة وفنانيها الذي سافر للقيام بجولة في سورية ١٩٦١ ، وهنا اتضح له ان يزرع سورية ساحلا وادخلا .

— وتقديرا لكلماته ومواهبه فاز بجائزة الدولة في فن الترجمة والسيرة سنة ١٩٦٧ عن كتابه « احمد فارس التديشاق » .

— حصل على وسام الجمهورية من الدرجة الثالثة سنة ١٩٦٧ تقديرا لجهوده في العلم والادب . وكانت السيدة ام كلثوم الفائزة ذلك العام بجائزة الدولة في الفنون والمؤرخ المرحوم حسن عبد الوهاب في التاريخ . ومن قصيدته في ذلك الحفل قوله مخاطبا زملاءه الفنانين :

ايها السباق في غاياتكم

قد بلغتكم بالكنائيات المني

لم تغالوا المجد امرا عارضا

او نظنوا الخلد شيئا هينا

انه ليل طويل ... وعنا

انه جهد جهيد ... وضنى

انه موهبة يسندنها

سهر بضنى ويديمي الأعينا

لم تغالوا المجد ان جاءكمو

يافعما ، او جاء كهلا زمنا

شرف المجد بان تحظى به

لا تقس فيه المدي والزمن

رب مجد لم يجرى في وقته

جاء كالفصبح وضىنا ابينا

وفي يناير ١٩٦٨ هاجر بكرة الاستاذ «تبيل»

بعد تخرجه في كلية الهندسة الى البرازيل فوجسه « عبد الغني » قصيدة الى الاستاذين شفيق معلوف واليأس فرحات يوصيها فيها بفلاذة كبده ، وفيها يقول :

القيت بين يديكم فلذة الكبد

وقلت : سر في امان الله يا وليدي

قضى الطوح عليه ان يغربه

عن ريعه الخصب او عن عيشه الرغد

الحب في عشه ، والماء في فمه

لكنه هائم كالطائر الفرد

ظمان والماء يجري في جداولنا

والنيل يروي على الشطين كل صدي

وبعد فترة لحق به « تبيل » « تبيل » شقيقه المهندس

« يحيى » و « هاني » ولما استقر الثلاثة في البرازيل

ولاحس الشاعر اليأس فرحات بان له يتم بالواجب

عليه نحوهم ، كتب الى المترجم له معتذرا من عدم تمكنه

من لقائهم :

« محمد » أهلا به « التبيل » وزوجه

وصنويه ، أهلا بالشباب المهذب !

لئن كنت لم اذهب اليهم فأتاني

لاذهب في تقديرهم كل مذهب

ابوهم له عندي ايباد وشيمتي

تزد الى الانشاء ما كان لالاب

ولكن دهرنا بكتلي صروفه

وصالت على ضعفي بناب ومغلب

اقام قصوري حائلا دون رغبتني

واوقف عجزني حائطا دون ماربي

فرد عليه المترجم له بقصيدة من الوزن والقافية

يصور فيها حنين الآباء نحو ابنائهم المغتربين أروغ

تصوير ، وفيها يقول :

« ابا خالد » بالأس طال تلقني

اليك ، واني اليوم طال ترقيني

فلي في حواك الرحب أطيب نعمة

تقابل من نعى يديك باطيب

بني واقلاذي الذين تغييوا

لفصاب بهم عن كوكب السعد كوكبي

فاطيفاهم مني قريب مزارها

ولكنما اشخاصهم في تغرب

فقدت بهم نعى الحياة وصفوها

فطبيها اضحى وليس بطيب

تعاجزني عنهم بحار بعيدة

وموج محيط هادر متقلب

بعيدون حتى بالظنون ... كأنهم

يقبضون في سر بعيد مقبب

إذا نلتهم حلماً فذلك غايته
وان رمتهم طيفاً فذلك مأربي !
من آثاره القليلة :

تحل عشرات الكتب اسم « محمد عبد الفتى
حسن » في قطاعات شتى ، والجداول التالية تبين
الكتب التي ألفها وحققها وترجمها هذا الكاتب
الموهوب :-

كتب في الأدب والتقد

- ١ الشعر العربي في المهجر
مؤسسة فرنكلين ، طبعات ١٩٦٢، ١٩٥٧، ١٩٥٤
- ٢ معرض الأدب والتاريخ الإسلامي
مكتبة الآداب ، القاهرة ، طبعة ١٩٥٨، ١٩٤٨
- ٣ من أمثال العرب
مؤسسة المطبوعات الحديثة ، طبعة ٢ عالم الكتب
١٩٥٧
- ٤ الفلاح في الأدب العربي
المدار المصرية ١٩٦٥
- ٥ فن الترجمة في الأدب العربي
المؤسسة العامة للتأليف والنشر ١٩٦٦
- ٦ دراسات في الأدب العربي والتاريخ
المؤسسة العامة للتأليف والنشر ١٩٦٧
- ٧ بين السطور (نقد كتب)
دار الفكر العربي ١٩٥٠
- ٨ الخطب والواعظ
دار المعارف ١٩٥٢ ط ٢ ١٩٦٨
- ٩ التراجم والسيرة
دار المعارف ١٩٥٢ ط ٢ ١٩٦٩
- ١٠ نواوين شعرية
دار المعارف ١٩٤٧
- ١١ من نبع الحياة
دار المعارف ١٩٥٠
- ١٢ من وحي النبوة
مكتبة الآداب ١٩٤٨
- ١٣ ماض من العمر
مكتبة الخانجي ١٩٥٤
- ١٤ عبدالله فكري : حياته وعصره
مطبوعة مصطفى الحلبي - مصر ١٩٤٦
- ١٥ حياة مي
المطبعة العصرية - نشر المقتطف ١٩٤٣
- ١٦ مي أدبية الشرق والعروبة
عالم الكتب ١٩٦١
- ١٧ عبدالله فكري

- ١٨ اعلام العرب ١٩٦٥
- ١٩ أحمد فارس أشتدياق
اعلام العرب ١٩٦٦
- ٢٠ المقرئ صاحب نفع الطبيب
اعلام العرب ١٩٦٦
- ٢١ تراجم عربية
المؤسسة العامة للتأليف ١٩٦٨
- ٢٢ ابن الرومي
دار المعارف ١٩٥٢ ط ٢ ١٩٦١
- ٢٣ الشيخ حسن العطار
دار المعارف ١٩٦٨
- ٢٤ الشريف الرضي
دار المعارف ١٩٧٠
- ٢٥ ابن سعيد المغربي
مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٦
- ٢٦ موسى بن نصير
دار المعارف ١٩٥٦ ط ٢ ١٩٦٢
- ٢٧ ابو مسلم الخراساني
دار المعارف ١٩٥٦ ط ٢ ١٩٦٥
- ٢٨ دراسات تاريخية
المعاهدات والمهاتنات في تاريخ العرب
المؤسسة العامة للتأليف ١٩٦٦
- ٢٩ صراع العرب خلال العصور
مؤسسة المطبوعات الحديثة ١٩٦٠ ط ٢ ١٩٦١
- ٣٠ علم التاريخ عند العرب
مؤسسة المطبوعات الحديثة ١٩٦١
- ٣١ ملاح من المجتمع العربي
(اقرا) دار المعارف ١٩٥١
- ٣٢ تيجان تهاوت
(اقرا) دار المعارف ١٩٥٢
- ٣٣ غرائب من الرحلات
(اقرا) دار المعارف ١٩٥٦
- ٣٤ بطل السند
(اقرا) دار المعارف ثنائي طبعات آخرها ١٩٦٩
- ٣٥ كتب مترجمة
المرأة والنولة في فجر الاسلام
(مترجم عن الانكليزية) المقتطف ١٩٤٢
- ٣٦ مون فليت (قصة)
في مجموعة اولادنا - دار المعارف ٥٧ و ١٩٦٧
- ٣٧ تحقيق مطبوعات
تلخيص البيان في مجازات القرآن
للشريف الرضي . نشر عيسى الحلبي ١٩٥٣
- ٣٨ حلية الفرسان وشعار الشجعان
دار المعارف ١٩٥٠

٣٨ حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوي
لكراتشكوفسكي المستشرق الروسي - ترجمة كلثوم
عوادة فاسلفيا

دراسات اسلامية

٣٩ الاسلام بين الانصاف والجهود

مؤسسة المطبوعات الحديثة ١٩٦٠

٤٠ القرآن بين الحقيقة والجاز

مؤسسة المطبوعات الحديثة ١٩٦٢

قصص الرحالة والمكتشفين

٤١ فاسكو دي جاما

دار المعارف ٥٦ ط ٢ ١٩٦٢

٤٢ ولتر رالي

دار المعارف ٥٦ ط ٢ ١٩٦٢

٤٣ الكابتن كوك

دار المعارف ٥٦ ط ٢ ١٩٦٢

٤٤ الكابتن سكوت

دار المعارف ٥٧ ط ٢ ١٩٦٢

٤٥ منجو سارك

دار المعارف ٥٧ ط ٢ ١٩٦٢

٤٦ بيري

دار المعارف ٥٧ ط ٢ ١٩٦٤

هذا بالإضافة الى كتب المطالعات الاطلس
والناشئة الفها بالاشتراك مع الاستاذ عبد السلام
المصري تحت عنوان « ايام العرب » وهي :

٤٧ يوم ذي قار

اصدار عيسى الحلبي ٥٨ ط ٢ ١٩٦٠

٤٨ يوم اليرموك

اصدار عيسى الحلبي ١٩٥٨

٤٩ يوم القادسية

اصدار عيسى الحلبي ٥٨ ط ٢ ١٩٦٢

٥٠ يوم الملتان

اصدار عيسى الحلبي ١٩٥٨

٥١ يوم بابلينون

اصدار عيسى الحلبي ١٩٥٨

٥٢ يوم الانلس

اصدار عيسى الحلبي ١٩٥٨

مجموعة « نساء شهيرات »

بالاشتراك مع الاستاذ عبدالسلام المصري

٥٣ آمنة بنت وهب

مؤسسة المطبوعات الحديثة ١٩٦٠

٥٤ خديجة بنت خويلد

مؤسسة المطبوعات الحديثة ١٩٦٠ ط ٢ ١٩٦٢

٥٥ الزباء بنت عمرو

مؤسسة المطبوعات الحديثة ١٩٦١

٥٦ شجرة الدر

مؤسسة المطبوعات الحديثة ١٩٦١ ط ٢ ١٩٦٢

مجموعة « قصص القرآن »

بالاشتراك مع عبدالسلام المصري

٥٧ قصة اخوين

مؤسسة المطبوعات الحديثة ١٩٦١

٥٨ ناقة صالح

مؤسسة المطبوعات الحديثة ١٩٦١

٥٩ سقينة نوح

مؤسسة المطبوعات الحديثة ١٩٦١

نماذج من شعره :

عالم محمد عبدالغني سائر انواع الشعر ،
ودونك نماذج من الابواب التي طرقتها ، نستهلها
بآبيات من شعره القومي والوطني :

من هؤلاء الصامتون ؟ تكلوا

من هؤلاء المحجون ؟ تقدوا

ما بالكم تقضى الامور بغيركم

ويكون دونكم القضاء ويبرم ؟

تتكلم الاسلالت فوق رؤسكم

وتسبح حولكم الوغى وتندم

وتكاد كف الطامعين تصيبيكم

وتسال ما ترجو الطامع منكوا

القاصحون الارضي بعد « محمد »

اضحوا وهم في كل ارض مغنم

وكقوله في قصيدته « مبرا دعا الحق » :

هذا الهدى غاملا به الصحراء

وانشره في خلل الظلام ضياء

واصدع بامر الله لا متهيبا

ضرا ولا متخوفا باساء

من كان في الحق المين بلاؤه

هيهات يخشى في اقصو بلاد

ومن شعره الاجتماعي قوله في عيد اليتيم :

يا ايها المخبوع في آماله

والمرء في الدنيا يعيش ويابل

الناس حولك يملأون بطونهم

عجبا وانت على الطوى لا تاكل

الخبز ابطهرهم فلم يتعففوا

واراك انت بكسرة تتعال

تبدي التجمل والزمان مضيق

لن الكريم على الاسى يتجمل !

ومن شعره في المرأة العربية قوله في السيدة

زينب كاهل حين عيت اول معيدة بالجامعة المصرية :

اعيدي الصديت على مساعي

فان المعيدة قد تطرب

وقصي علي حديث المعالي
فان حديث الملا يعذب
وكيف الإرادة لا تستريح ؟
وكيف العزيمة لا تتمب ؟
وكيف يكون اضطراب الفتاة
على حين صبر الفتى ينضب
رمى الثرق منهم بالقديم
فهات جديك يا مفرب !
جعلنا الأوانس في الجامعات
وكانت طليعتنا « زينب » !
ومن شمعه التومي في محاولة انهاض الشرق
من كيونه ، وايضا نله من غفونه :
الشرق ظمان الجوانح صادي
متعثر في القيد والاصفاد
اهدوه للحكم السديد فاتمه
قد كان منبج حكمة وسداد
وخذوه بالتهج الرشيد لانه
حار الدليل به وضل الهادي
ومن شمعه في العروبة والحض على الوحدة
وتوحيد الاهداف والجهود :

قل للعروبة قد ظفرت بعروة
موصولة وبموتقى متأكد
حيث على الحب القديم قلوبها
وتالفقه بجهل التجسد
ومشت تعبد للحياة طريقتها
لما راته اليوم غير معبد
هذا زمان ليس فيه مكانة
لمضج او منزل لمهدد

قد وحدتنا في الحياة عوامل
وجهدتنا الاشتات لم تتوحد
يا ضيعة الاقوام ان هم فانهم
نيل المآرب واتحاد المقصد
ومن قوله في غروب الشمس وهو يطلب العلم
باتجلترا :
غابت الشمس من وراء الحجاب
وبدا الجو معتم الاثواب
والتهار الضحوك ولي سريما
وتلاشي شعاعه كالحجاب
وبدت دكة السماء ولاحت
كالمروج الفساح خلف الضباب
عجبا هذه الأشعة تمشي
كمروس قد عفرت في التراب
هذه الشمس أذنت برحيل
بعمدا كلت رؤوس الهضاب
وبدا الكون بعد ذلك سفرا
كل سطر فيه كلون الفراب
والسكون العميق بيعت في الأثر
ض هدوء الحياة بعد اضطراب

ومحمد عبد الغني حسن كما يقول وديع فلسطين :
« الذين يعمرون الشاعر البدع الوجداني محمد
عبد الغني حين يعمرون فيه ساحة نفس ، ونيل مقصد
ووفاء لكل من عقد معه أسرة : وفاء لبلاده ، وفاء
لصحبه ، وفاء لبادئه التي يدين بها ، وفاء للأدب
يتنضيه ثمنا باهظا من الوقت والجهد ، ووفاء
للطبيعة والإنسانية والحياة ! » .

— عمان — الأردن — البديوي الملم —

لا تقل للأعشى أعشى
فإذا كنت صريحا
لا تقل شيئا فلاحظ
وتضحك ... وتفرج !!
إنش الناس

إنش الناس وحاذر
يتشقى بلسان
هو في وجهك شاة
وهو في ظهره أعشى !!

الصراحة

شعر

رياض معلوف

أبو جعفر المنصور

تأليف : الأستاذ علي أدهم
دراسة بقلم : أبو طالب زيات

ARCHIVE

يعد الأستاذ علي أدهم في مقدمة كتاب التاريخ الأدبي ، على وجه من وجوه الترجيح ، أو كفة من اكشاف الرجحان في حسابان الطلبة المؤرخة، أو المعنية بفلسفته على اتجاهاتها الخالصة .

وان نسي المتقنون العرب ، في غمرة العديد من المؤرخين الادبيين ، فلن ينسوا هذا المؤرخ في استبطانه لدخائل عبدالرحمن الداخل ، ومفارقاته العجيبة في تناول سيرة «صقر قریش» الذي اعيدت بطعانه، فغدا نبأه ، واضحى مرجعا .

ولقد كان هذا النجاح الذي اصابه الأستاذ أدهم ، دافعا له الى ان يواصل دراساته المكنية ، فينبئ بالمصور ، سيرة ، ويتلو به : بطولة وعظمة ، على كثرة من البطولات التي برزت في المصور العربية ، وفيوض من العظمة في وقت قل فيه الغبط لها، وعز الا من التقدير والانصاف .

والذين يطالعون « المنصور » في تحليل الأستاذ أدهم ، انما يؤمنون بالاعجاب ويلفتون الى اتجاه في الدراسة ، ندر ان يكون في تحليلات ودراسات لسير البطولة وتقدير البطولات .

والصفحات الاولى من هذا الكتاب، دراسة ومتابعة وتفریق بين العطفاء والابطال في المذاهب المختلفة ، التي كان لها مدها العريض في سلك المنصور في طليعة العطفاء من خلفاء الاسلام الذين علوا في التاريخ العالمي بوصفهم مؤسسين حقيقيين لحدول استمرت تحكم العالم الاسلامي قرونا ببقطة دائية ، ونظرة دائية عوساسة حكيمه ، وخطط مدروسة .

والفصل الذي عقده المؤلف ، والم فيه بالخلاف بين بني هاشم وبين بني امية ، يعد تمهيدا لدعوة بني العباس، الذين تمثل فيهم الدعاة ، وظهر على ايديهم قيام هذه الدولة العلوية التي عمرت اكثر مما عمر غيرها حكما

وعلا واصلاحا . وبلاخرى لا يمكن ان يكون الباب الذي عقده الأستاذ أدهم لسطوط الدولة الاموية ، الا لكثرة الاسباب التي احاطت بهذه الدولة ، وزلزلتها عن مكانتها في الخلافة والحكم . فالدلائل التي احصاها المؤلف لاسباب هذا الانهيار واجملها في ماضي هذه الاسرة ومواقفها ، لما يقل ان تستخلص من الاسباب والمسببات التي حاصرت الدولة ، واخذت عليها اتجاهاتها في كل جانب لاسيما المحافظة التي كانت من جانب معاوية على «التوازن بين الشعبين العربيتين الكبيرتين» : الشعبة البنيية ، او القحطانية ، والشعبة المضرية او العدنانية ، وما نتج عن هذه المحافظة او هذا التوازن من ارضاء بعض القبائل ، وبناصرتها السافرة لفسريق من الفريقين ، مما كان له اثره البعيد فيما ظهر بعد ذلك . . . وعقب المؤلف ببولد ابي جعفر

المنصور ، ونسبه ، ومواقفه الخالدة في خلافة أبي العباس ورأى الناس فيه ، وتولية الجزيرة ، وتلك المناقصة التي كانت « خافية المذهب ، مكبوحية الجاح » في صدرى : عبدالله بن علي وأبي مسلم الخرساني ، أيام العباس ، وظهرت واضحة على أشدها بعد وفاته ، تريد النيل من أبي جعفر وتبني العصف به ، والذهاب بشخصه ، أو تنحيته أيا كان : عن الإمارة والحكم ..

والعرض المطول الذي اختاراه الاستاذ ادم لخلافة أبي جعفر ، وما كان من سياسته الراشدة حين اتاه كتاب أبي مسلم ، وحين لقائه وتأخذ رايه فيبيعة عبدالله بن علي ، وموقفه بعد كسر شوكته ، ولين شره ، وضرورة القضاء على أبي مسلم ، والوقوف بجانب المنصور مؤيدا لسياسته ، كان يعوزه الدليل تلو الدليل ، لا أن يجد المنصور مندوحة الى جري أبي مسلم والقضاء عليه بالاستئزاز أو إشارة الغضب ، أو الخروج عن سياسة المهادنة التي كان يسبقها أبو جعفر ان لم يكن الامان والاستسلام .

والحادثة التي سبقت ، قد تغني عن جملة حوادث ، لولا انها وردت في عدة مراجع بروايات مختلفة ، يقل أكثرها الطمن ، ولا تصمد امام القابلة والمراجعة والتثبت . يقول المؤلف :

« ارسل المنصور يقطين بن موسى لاحصاء الاموال والخزائن التي حصلت في يد أبي مسلم وهو يعلم ما في ذلك من الاساءة الى شعوره ، وغضب ابو مسلم كما كان يتوقعا وقال : « افعلها ابن سلامة الفاعلة ؟ » وتسلم يقطين ابن موسى ، فقال يقطين لما رأى ما داخله : « عجلت اياها ادم » . قال : « وكيف ذلك ؟ » .

قال : « ارمني ان احصى الاموال ثم اسلمها اليك ، لتعمل فيها براك » ثم على ان المحاوره التي رويت تمهيدا للقضاء على أبي مسلم وعددها الكاتب

توجيها للحياة التي خضعت لآبى جعفر ، لاسيما عند ما كتب ابو مسلم اليه يطلب اذنه وهو لاعلم بما بييت له ، او يحاك ضده ، فقد كان اجدر ، الا تصور على هذه الصورة التي وقعت بالمنصور عن وضعه ، واخرته في نظرة التاريخ ، واحكام المؤرخين ، اذ لا يمكن ان يكون بطلا ، وهو يضع اربعة اشداء لقتل خصبه غيلة وغدرا ، وبخاصة اذا عرض ابو مسلم مجردا من تسلاحه ، وهو يدخل على أبي جعفر ..

وقد استبعد كل الاستبعاد ، ان يحاسب الرجل على عنائه ، والسيف من حوله ، تضرب حائله ، ويكون له ينطق بدافع به ، او كلام يلتبس به العفو في ضراعة وذلة .. . ويعين التجاوز عن هذه الفعلة التي فعلها المنصور ، ورواها الاستاذ ادم ، دون ان يدل عليها من سند ، او يثبت ما اعطوها من دلائل ، الا ان يجازي قواده بجوائز سنينة واعطيات ترضى بها نفوسهم ، وابو جعفر على هذه الحالة من السخط والرضا ، أكثر بما يكون عن نفسه ، وسيلوكه في ذلك الوقت المصيب !

والتعلم المستنقح ، والتقيود التي فرضت نفسها على أبي جعفر ، حتى وقع في هذا الفعل ، قد وقف الى جانبه الاستاذ ادم ، حذرا الا من تلك الضرورة السياسية التي تمثلت في صد تيار النفوذ الفارسي ، قبل ان يستفحل امره ويعم الدولة ، التي كررته راجعة به الى الرشيد في ايتاعه بالبرابكة ، والمأمون بغايتله الفضل ابن سهل ، وان لم يصيبوا جميعا في تلك المحاولة التوفيق الذي كانوا يرضونه : « لان تغيير مجرى الحوادث في كثير من الاحوال من وراء قدرة الرجال ، ولو كانوا من طراز المنصور والرشيد والمأمون » لم يكن مندوحة لهذه الاعمال ، او هذا الفعل الذي يفرض نفسه ابتغاء سكن الامور ، واستئجاب الابن .

والتتابع والاحصاء اللذان عهد

اليها المؤلف ، وعقد لها فصلا استغرق عدة صفحات من الكتاب ، كان اولي له ان يسوق حادثة من النفاذ تغني عن هذه الكثرة التي الزم نفسه بها ، او لعله اراد يمساق جل هذه الحوادث التي وقعت لآبى جعفر ، ان يبرهن على ذلك الذي كان يقيم عليه المنصور ، وان كانت هذه الحوادث قد وقعت قبلها غير متتابعة ، او بمسك بعضها برقاب بعض ، حتى تكون شبيهة ، تشهد للمنصور بحسن تخلفه وكياسته ومعالجته للامور السياسية التي عرفت عنه من الاغضاء تارة ، والمصبر اخرى ، والاخذ بالشدّة ثالثة ، ان كان ثم سبيل الى المعالجة .

غير ان الشك الذي قد يساور بعض هذه الحوادث في رواياتها ، وتبوتها على الصحة امام البحث ، يأخذ الاستاذ ادم من ناحيتي نقله وتحقيقه .. اذ يكفي موقف المنصور من معن ابن زائدة حين تقدم عليه بعد ان مدحه الشاعر : مروان بن ابي حفصة بتصفيته المشهورة وغضب المنصور عليه ، ودفاع معن عن نفسه ، واكبار المنصور له ، اذ لا يمكن ان يحل المقاب برجل اعطى ، وينزل الغضب به ، وهو على كرم وجود . وقد مهد الاستاذ ادم لمشكلة ورائة العرض بغذلة تجريبية تدعو اليها ضرورات الحياة في تلك الايام ، ذلك ان التجربة : « اظهرت ان ترك المجال متمسا للمتناظرين ، يعرض الدولة للاخطار التي تنجم من التنازع على طلب السلطة » ، وساق عدة امثلة على الروايات في جملة جهود ، وعدة دول ، وان اضطره البحث الى وثقة طويلة امام ما كان يحبه المنصور من ولي عهده ، ومحاسبته ايماه على اعماله التي قد لا يرضى عنها في كثير من الاحيان .

اما ان تشذ القاعدة ، ويتجاوز المهدي وضعه ، ويسلك طريقا مستقلا ، وليس عليه تبعته ، فهذا ما لا يرضاه المنصور وهو يريد توجيهه

وجهة يرضاعا هو ، حتى كان لا يرفض ما يعطيه ولي عهده ، أو يمنحه لبعض الناس منّا وعطايًا ، بل كان يضع يده عليه ، ويستمتع جزءا منه ، حتى يخطط الطريق ، ويوضح المعالم . وما تناوله المؤلف من تغليب وجوه الراي ، ومساك الحجج على سياسة المنصور ، أمام هذه المشكلة ، وتناوله كذلك حين عرض للمنصور ووزرائه وحسابه لهم ذلك الحساب الشديد الذي تمثّل في احب الناس اليه ، وهو ابو ايوب الذي نفذ اليه عن طريق الضيعة التي انقطعها لابنه صالح المسكين ، وكان ذلك الحساب العسير ..

ولم يكن بد من ان يروى في هذا الكتاب ، كثير من الحكايات التي لحقت بالمنصور ، او حيكّت حوله ، تظهره بمظهر البخل ، وتسم تدابير بالحرص ، والتشكر حتى لا خلاص ، اذا ما طلب عونًا ، او مد يده الى مساعدة ، وان كان الدفاع يضطرب اذا ما تقتضا النظر ، ورجعنا الى هذه الكلمات : « كان لا بد للمنصور من توخي الحذر ، وتحري الحرص ليلام بين نفسه وبين الظروف المحددة به » وفي هذا مخالفة للواقع ، ومجازاة لتحقيق الموقف الذي كان يحيط بالمنصور ، ايا ما كان هذا التعامل وايا ما كان هذا التعليل او الدفاع .. فرجل كالمنصور احبب بالشجاعة ، وفرض عليه ما لم يفرض على غيره من المتازعة ، كان لا بد له من فسرط يده ، لا ان يغلقها في الوقت الذي كان في حاجة فيه الى دماء ، يشون له ، لياين غيرهم عن طريقهم ، وان جنح المؤلف الى جانب المنصور ، بعد ان اظهره بمظهر الحرص الذي يرى قصر عطائه على اعماله واتاريه ، وبعض انصاره ، واوليائه الذين اصطفاهم ، اما غير هؤلاء فقد قال المؤلف عن احدهم :

قال الوضين بن عطاء :

استزارني المنصور ، وكان بيني وبينه خلافة قبل الخلافة ، فصرت الى

مدينة السلام ، فخلونا يوما ، فقال : « يا ابا عبدالله ما مالك ؟ » فقال الوضين : « ثلاث بنات والمرأة وخادم لهن » .

فرد التصور ذلك حتى ظن الوضين انه سينحصر هبة تولوه وتغنيه ، ثم رفع راسه وقال له : « انت ايسر العرب ، اربعة مفازل يدون في بيتك » .

وعرض الاستاذ ادهم لسياسة المنصور وادارته ، وحل نفسيته واتجاهه الذي اثره في حياته ، وبعده عن اثاره الحروب ، وعمله على توطيد اركان الدولة ، ودعم بنيانها ، فخلا اتخاذ الولاة من اهل بيته ، او ممن اصطنعهم من العرب والموالي ، وان ركن في احيان كثيرة الى سوء الظن بالبطيعة الانسانية ، مما جعله يتدخل في جميع شئون دولته ، بل قد يذهب الى اكثر من هذا ، فيحاسب الولاة مهما تكن قربانهم له ، او ابايدهم عنده . والقليل على هذا العنف او السند على هذه الشدة يتجلى في موقفه من بعض حين ولاه الين ، وقصده الناس وسلكه في امانته ، بعد ان اتفى رجاله في حرب الين ، وما له في طاعة المنصور ، واستتباب الامر له .

وهنا كان المؤلف وقفة ازاء المنصور : عالما وفقها وزاهدا وشاعرا ، على الوضع الذي يسلكه بين هؤلاء ، او على الوضع السذي يخلقه في دور الجماعة المحبة دون اسهام .. يقول الاستاذ ادهم :

« في كتب الادب والتاريخ ، الكثير من الكلمات الحكيمية منسوبة الى المنصور ، وليس ذلك عجيبا فقد كان في ابان نشأته وعهد شببته مقبلا على طلب العلم في مظانه ، والحديث والفقه ، ونال منه جانبًا جيدا ، وطرغا صالحا ، وكان واسع الاطلاع على الادب ، حافظا للكثير من الشعر ، مما دفع بعض رواة الاخبار والسيرة الى المبالغة في الاشادة بقوة ذاكرته

وغزارة حفظه » . ولا تعني هنا المناقشة التي دارت ، او الاحكام المستخلصة من تسجيلات الرواة ، وبخاصة كتاب : « البيان والتبيين » بقدر ما يعني تعرض المؤلف لشعر المنصور ، وحكيه عليه بانه ليس في المستوى العالي الذي يرد من رجل واسع الاطلاع كالمنصور ..

ولن يكون ابلغ في ردي من شعر المنصور نفسه حين كتب اليه : عيسى ابن موسى وهو يستشير في امر ابي مسلم وكتب اليه عيسى :

اذا كنت ذا رأي فكن ذا تدبير

فان فساد الراي ان تتعجلا
فكان رد المنصور :

اذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة

فان فساد الراي ان تترددا
ولا تهمل الاعداء يوما بغدوة

وبادرهم ان يلكسوا مثلها غدا
على ان هذه الهنات الهينات ، التي تخفت في ثنايا هذا الكتاب ، لا يمكن ان تكون باعث نظرة كليلة اليه ، او موضع شك في رواياته التي اعتمدها الاستاذ ادهم ، وانما تكون باعثا من بواعث النظرة الجليظة لكاتب ارخ ادبيا لخليقة ، اختلفت في كل اتجاهاته الاغراض ، الا انه كان جديرا في نظر الاستاذ ادهم والمنصفين ، بان يوضع اسمه الى جانب اساء اعظم الحاكمين والملوك والقباصرة والباطرة الذين عرفهم التاريخ .

ابو طالب زيان



مطاردة المرايا الحمراء



قصته: حمدي الكنيسي

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

المودة الى بلدهم امر لا يحتاج اساسا للاقناع . لكن
الامم هو العمل لتحقيق هذه المودة . لم يعد يطبق هذه
الملابس . الحنين يعذبه . يتنهي لو استعاد ملابسـه
الاولى . لماذا كان قد خلعها ؟

●●●

تحرك راسه . رفعه . انطلقت عيناه نحو المرأة
المواجهة له .

في هذه المرة اقتربت عربة مغلقة ، واطلت منها . . في
حذر . . رؤوس كثيرة . بعدها اطلت فوهات بنادق
ومدافع ، وانطلق الرصاص يموي في كل اتجاه . ارتد
بظهره الى الخلف . كرزالز عنيف ، هزته الصرخة التي
جسبها في صدره . دقق النظر في المرأة . انهمرت
دموعه .

كان شقيقه منير وبقية رفاق اللعب يرتدون في بركة
من الدماء . حول جثثهم تبعثرت الاحجار والاوراق التي
كانوا يبنون بها بيتا جديدا . امتلأت القنوات الريفية
التي حفرها باصابعهم الصغيرة ، امتلأت بدمائهم
المتدفقة بغير حساب .

بسرعة البرق جاءت تلك العربة .
بسرعة البرق ذهبت.

... فوق احدى درجات السلم الخلفي جلس

القرصاء .

وضع راسه بين ركبتيه ، يحاول ان يسيطر على
عينيه .

هذه المرايا — التي تختفي وراءها جدران الفندق
الكبير — لا بد من مقاومتها . . عليه ان يبذل قصارى
جهده حتى لا تجذب عينيه اليها . حتى لا تطاردها . .
تحسب مسخسه الذي يرقد في جنبه الخلفي .

●●●

قال له صاحب المصنع « مكافئك ستأخذها كاملة .
ان ينقص منها دولار واحد . المطلوب منك فقط ان
تتخلص من شرودك وسرناك » . رمقه بنظرة حادة ،
ويصق على الارض (كانت البصقة في طريقها الى وجهه
لكنها غيرت اتجاهها فجأة) . بعدها مباشرة ترك العمل
لم تفهم امه سببا لما فعل . حاول اخوته مناقشته . لم
يقبل .

استقرت الفكرة في ذهنه تلبا . سوف يقتنعهم بها
في اقرب فرصة . ان يحتاج لجهد كبير في اقتناعهم .

لم يلح منها شيئا سوى تلك النجمة المسدسة التي رسمت على مقدمتها وجوانبها . نفس النجمة كانت تلعب فوق خوذات الذين اطلوا منها واطلقوا الرصاص في كل اتجاه .

مد يده ليجفف دموعه . رآها تهتز في المرأة . نفخ في ضيق . اعاد راسه الى مكانه بين ركبتيه . خدعته عيناه رغم تصميمه . كلا المراهي هي التي خدعته . لن يسمح باي لقاء اخر بينها وبينه .

تحسن مسدسه .

هل ينهض الان الى الصالة الكبيرة ؟

ينتظر ؟

لم يبدأ الحفل بعد ؟

على اي حال لن يمر وقت طويل وهو في هذا المكان .



لا يذكر تماها ملامح اخيه منير . لكنه يذكر صوته . يذكر كيف كان يحب كل منهما الآخر . حتى الان ما زال يحبه . ماتت معه راوية وسعيد وصلاح . كانت راوية تفضله دائما في لعبة « العريس والعروسة » تسلك بسمة الى شفتيه . معها تسلك عيناه الى المرأة الجانبية .

ادار وجهه بسرعة . احس بالذعر يهجم عليه . عربات كثيرة تنطلق بسرعة . تمبر الشارع الفاصل بين شطري المدينة . اندفعت في طابور طويل تشتت في الشوارع التي يعيشون فيها .

لا يريد ان يرى البقية . حاول ان يعيد ازمته بين ركبتيه . لم يستطع . ظل متجها نحو المرأة . الممرية التي تتقدم الطابور هي نفسها الممرية التي رآها من قبل . ورائها تتحرك عربات كثيرة مكشوفة . لطم عينيه ببديه . استمرت العربات في هديرها . فوقها رأى فتيات كثيرات يعرف عددا كبيرا منهن . عرايا تماها . قفزت عيناه تتابع العربات . يريد ان يتأكد . عرايا تماها . مقيدات الايدي الى الخلف . الدماء تسيل من وجوههم . وانذائهم وبطونهم .

هز راسه بمنف . تمنى لسو يتفجر . لو يتحول الى ذرات . لو تفقد عيناه قدرة الإبصار . لو تتحطم المراهي الموجودة في العالم كله .

حركة العربات لا تهدأ . . دماء الفتيات لا تجف . تتزايد . قهقهات الجنود المحيطين بهن بتعقب اذنيه . البنادق تتخفى في ايديهم . توقفت احدى العربات فجأة . قفز منها احدهم حينما لح احدى الفتيات . حاولت ان تهرب . لحق بها ، امسكها ، مزق ثيابها ، عراها تماها ، القها فوق العربة . وضع « السونكي » فوق صدرها . انبثقت خيوط الدم فانطلقت ضحكاته تولول . اهترت النجمة البغيضة فوق خوذته . حاول ان يتألمه .

وجهه مسطح بلا ملامح . دوت صرخاتها تناديه ، ارتفع جسده حينما تألمها ، كاد يصرخ . « أمانة ! » . صرخاتها تدوي ، تلومه ، تعاتبه ، تستغيث به (حينما تكبر سن تزوج يا أمانة . ما زلنا صغارا . سنكبر بسرعة . سمعت ان رجالا مبهين جاؤا من بعيد ليعيدوا كل ما سرق وضاع . لا اظن . دائما انت متشائم . دائما انت متقاتلة جدا .)

عادت الصرخات تهزه . تسمرت عيناه على المرأة . خيوط الدم تزيد . تتكاثر . تجري . تتلوي . تندفع نحوه . تلف حول عنقه . تضغط عليه . تضغط عليه . مد يده ليعيدها عن رقبته . استعاد بعض انفاسه الهاربة . تلفت حوالاه في حذر ورعب . لم يجد احدا . ادار وجهه عن المرأة التي لطمها الدم . تحسن مسدسه . لم يحركه من مكانه . فقط اطمأن الى وجوده . شعر بانه ما زال يجد صعوبة في التنفس . حاول ان يقف . القى الفكرة على الفور . في مكانه هذا وبجلسته كما هو يستطيع ان يتفادى العيون . من جديد وضع راسه بين مخذي . اخذ يضغط بها عليه .

تركزت عيناه على بقعة الارض المحصورة بين قدميه . هب منتفضا . مقرب ضخم ، منظره بشع ، يتحرك فوقها (لدغة العقرب لا تاجأ منها . معناها الموت مباشرة) . طرد الخوف الذي غاجاه . يجب ان يقتله . اقرب منه .

(حينما اكتشف جده شعبانا صغيرا في حديقة المنزل . اشفق عليه لضعفاته . منعه من محاولة قتله . قال لهم ما دينا لا تؤذي . . فلن يؤذي هو احدا . . بعدها انتقل الثعبان من الحديقة الى داخل المنزل . قال جده : اتركوه . . كيف يتحمل برد الشتاء في العراء ؟ قالت امه له ان جده كان يصلي والتعبان يرتد بجواره . يرحبه الله يا ولدي . . فجأة احتجب عنا داخل حجرته وطال احتجابه . حينما دخلنا نساله الخبر وجدا الثعبان حول رقبته . . اخذنا نصرخ ونصرخ . . جرينا ورائه لنقتله لماذا ؟ فوجدنا يا ولدي بئسات الثعابين تخرج من كل شق في المنزل) لن يتجو منه هذا العقرب . اقرب منه (اكثر واكثر) . لاحظ انه لا يتحرك . دقق النظر . وجدها مكانها . . تلك النجمة البغيضة . رفع قدمه الى اعلى . ساقه تهتز . لا يد ا ي يحطمها . يقتلها . هبط عليها بقدمه اخذ يدوسها بكل قوته . رفس قدمه . لم يجدها . لم يجد لها اي اثر . نظر حوالاه . اسلمت عيناه بالمرأة الكبيرة . جذبته اليها . خيوط الدم ما زالت تسيل من الاجساد المعارية . ساله ما زالت تصرخ . وتشر اليه والى صدرها . صدرها ينزف دما اسود .

بعد ان جرى بامتى سرعته ، وقبل ان يخبر امه

بما رأى وجدها تعبى بعض الحقائق . لم تتوقف لحظة لتسببه .

شدته في لفة الى الداخل :

- اين كنت يا ميموس ؟!
- يأخذون البنات من حيناً .
- عرفنا كل شيء .
- الدماء تسيل من وجوههن واندائهن ويطلونهن .
- عرفنا كل شيء .. ما الذي جعلك تنقف لتلقى

كل ذلك ؟

— كان جنودهم يضحكون .

.....
— فوق خوذة كل منهم كانت نفس النجبة .. كانت

تلبح ...

.....
— كان يجب ان انتد « سالمة »

.....
— صرخاتها كانت تستجيب بي !

.....
— أمسكتي عني من يدي . قال لي اسكت ...

لا جدوى الان .

.....
— لماذا يا لي ؟

— عيني معنا بقية الحقائق . يجب ان نرحل

.....
— فوراً .

.....
— الى اين ؟

— الى اي مكان في الدنيا .

(مكافأتك ستأخذها كاملة . لن ينقص منها دولار

واحد .. المطلوب منك فقط ان)

دوت الهاتفات امام الفندق وداخل الصالة .

الاصوات تملو وترتفع . يتداخل بعضها مع بعضها .

تنقب اذنيه .

هل يتحرك الان ؟

يستحسن بعد دقيقة او دقيقتين ، يجب ان يستعيد

هذوءه اولا . كل ما عليه هو ان يخلص نفسه من سيطرة

هذه المرايا . القى عليها ، رغم ذلك ، مرة سريعة .

لقد فقدت لونها الناصع تباهي أصبحت حبراء قاتية .

لم تتوقف عن افراز العريبات المتوحشة . زاد عددها .

زيادة رهيبه . تجري هنا وهناك تتخطى كل الحدود

كثيرون مبالوا حقائبهم القليلة . وهي لا يبدأ لها بال .

النجمة المرسومة فوقها أصبح لونها هي (الأخرى)

احمر قاتيل . الدماء تسيل من بين اضلاعها الستة .

كلها (زاد) الدم (هال) الجنود . يهتفون باسم الرجل

الكبير . فعلاً .. هو اسم هذا الرجل . لم يصدق اول

مرة . ها هو ذا اسمه يسبمه بحروفه كابل .

اقترب من المرأة وألصق بها عينيهِ وأذنيه . رآه

يبتسم لهم يلوح لهم بيديه . هو نفسه بقاتبه الحديدة

وشعره المتهدل . سالت دماء جديدة . غطت المرأة .

اغرقتها . تثار الدم على وجهه . ابتعد عنها . لم يكن

يصدق . الهاتفات باسم الرجل يزداد دويها في صالة

الفندق . كان هو ايضا يحبه ، كان يتبنى له النجاح .

الهاتفات لا تتوقف . اعطى ظهره للمرأة وتحرك في هدوء

شديد نحو الصالة الواسعة . وجد نفسه بين الاف

المستقلين .. تتقاذفه هتافاتهم حتى اقترب منه .

وقعت عيناه عليه في وقفته التقليدية وهو يقرأ لهم

برنامج عمله وخطته للمستقبل اذا ما اختاروه . الشبان

يقفزون في الهواء . الفتيات يرقصن . الهاتفات تشتعل

كلها حرك خصلة شعره المتدلية على جبينه .

احس بحبه القديم له يتحرك .. يصحو .

شعر يتردد مفاجيء يتسلى اليه .

ابتعدت يده عن جبينه الخفي .

تمنى لو يقول الرجل كلاما آخر .. تمنى لو تكذب

المرايا .. لو تكذب المرايا .

فجأة تقدم — من وسط الزحام — شاب بلا

ملاح . وجهه مسطح تباهي . تقدم نحو الرجل .

امسك بالخصلة المتدلية واخذت اصابعه الزرقعة

تمسحت بها وتخلق منها اشكالا مختلفة الى ان اتخذت

شكل تلك النجبة . هي بمعنىها . انبسم الرجل هلال

الكثيرون واخذوا يمشرون الى الخصلة في شكلها الجديد

ويقرأون <http://www.eta.Sakhril.com>

تراجع من مكانه يضع خطوات ثم عاد اليه وتشبث

به . استقرت الخصلة على شكلها الجديد .

الشباب الذي خلا وجهه من الملاح يصفق باقتناع

منظم يرقص عليه الباقون . هو نفسه الذي رآه يجري

وراء « سالمة » ويبرز ثيابها ... و... و...

اهتز كل شيء اباه . تحولت دموعه المنسابة الى

سحابة شفافة امام عينيهِ . تحولت الى مرآة ببضياء

سرعان ما أخذ لونها يتغير ويصبح احمر فاتحاً . بذل

جهداً هائلاً لكي تخرق عيناها المرأة الجديدة .

الرجل الكبير مازال يخطب في الجبوع الصاخبة

والنجمة الكريهة تهتز على جبينه .

اهتز جسده بعنف . اسرعت يده الى جبينه . اندفع

نحوه ، وانطلقت ثلاث رصاصات اسقطت الرجل الكبير

من فوق المنصة .

هجم الصوت على المكان كله ثم ساد الاضطراب .

لم يتحرك من مكانه رغم الايدي المتراخمة حوله . اخفت

المرايا . تلاشت .

ملأت عينيهِ ابتسامة مرحة .

●●●

حمدي الكيسي

الأدب الجزائري المعاصر

ملاحم وإتحاهات

معلقة ٣٠

و فرعون ومعمري وحياتهم .. كما انهم طرقتوا نفس
المشكلات والموضوعات .

ومن ادباء الجزائر الشبان « مالك حداد » الذي
ولد في مدينة القسطنطينة وقضى في فرنسا سبع
سنوات من عمره البالغ ٣٦ عاما .. وبعد ان درس
القانون في جامعة « ايكس - ان بروفانس » في جنوب
فرنسا .. عاد الى الجزائر حيث اصدر مجلة « التقدم »
الادبية . ومنذ عام ١٩٥٥ حتى عام ١٩٦٣ استقر في
فرنسا .. وعاد اخيرا الى الجزائر ليرأس اتحاد
الكتاب الجزائريين الوطنيين .

وفي فرنسا بدأ « حداد » نشاطه الادبي بديوان
شعر بعنوان « الشقاء في خطر » - ترجمنا بعض

عاش ديب و فرعون ومعمري حياتهم كلها في
الجزائر . ينما قضى الجيل الجديد من ادباء الجزائر
سنوات عديدة من حياتهم وفترات نموهم الجسدي
والفكري في فرنسا ، ومن ثم كان اهتمامهم بالفكرة
والصناعة الفنية اكثر من انشغالهم بهيوم مواطنيتهم
ومشكلاتهم .. ونحن نلمس في اسلوبهم المرارة والنهم
والعنف .. ولا يفصل هذين الجيلين غير عشر سنوات ..
ولكنها سنوات حاسمة قاسية . فهذا الجيل قد نشأ
ونما في فترة الحرب العالمية الثانية المظلمة المضطربة ..
وعاش ابناءؤه هذا الشعور بالضيق وخيبة الامل وعبت
الحياة الذي ساد في اعتاب الحرب .. ومع هذا
احتفظ ادباء الجيل الجديد بعقيدة الرواد الثلاثة ديب

بجهضها وإن يخفي هذه العلاقة المريبة التي كانت مع شاب من زلاتها في الدراسة وهو مجاهد عربي يبحث عنه البوليس ، ويرفض الطبيب أن يساعد هذه المنكوبة فليس في ماضيه الفاتح ما يدفعه إلا إلى ذلك ، ولكنه يوافق أخيراً عندما يعرف أن صديقه المحتضر كان يخفي هذا المجاهد في داره .

وقد عالج « حداد » في قصصه — مثل « مولود معبري » — هذه الهوة التي تفصل الجيلين ولكن على نحو أعمق ، فالأبنة « فضيلة » تصبغ أظفارها ، وتدخن ، وتستخدم في حديثها الكلمات الفرنسية عندما تتحدث عن مشكلات وطنها ومشكلات الواقع العربي المعاصر .. وهي تنظف أسنانها بالمعجون بدلاً من السواك ، حتى أن أباه يعلق على هذا كله في كلمات ساخرة :

« أجد الله أن أبي مات قبل أن يراك في هذه الحال ، إنني أذكر كيف صدم عندما شاهدني يوماً أركب دراجة وأنا ارتدي بنطلوناً قصيراً محزناً .. ولا يزال الكبار في قريتي يتحدثون عن هذا الابن السذي كان يدرس الطب في باريس ويرتدي ملابس الأطفال رغم أنه كان يافعا يحلق ذننه .. وكان في سن ثمونه لأن يكون لديه نصف دسنة من الأولاد ، وكان يذكرني به عندما كنت أذهب لزيارته في كل عام .. »

ويتميز أسلوب « مالك حداد » في هذه الرواية كما هو في كل رواياته بالجدة والتدقيق .. غير أنه يؤخذ على هذه الرواية — والحديث هنا للنقاد الأدبي لاجلة « الأدب الفرنسي » .. الناقده الفرنسي المعروف « روبير كانترس » — أصرار المؤلف على أن يتخذ دائماً بين القاريء وبين شخصياتها فهو يغفل قيمة القصة وما تقدمه من متعة فنية على اعتبارها على حركة الشخصيات وحياتها لا على أفكار الكاتب التي يسجلها بشكل تقرير في الرواية ..

وفي رواية « التليذ والدرس » يفت « حداد » في الصراع مع الخنية الحديثة التي تنتشر كما يقول إلى مجد الله وعظمته — ويقول المؤلف على لسان الطبيب « بطل القصة » :

— « إذا كان الإيمان قد أقام الكاندرائيات فنان الضرورة هي التي اخترعت الطائرات .. أنا لا أقيم وزناً للعلم أو الصفة الفنية ما لم أجد فيها حياة وروحاً ، وليست الروح بحاجة إلى مصعد آلي لتصل به إلى الجحيم أو الفردوس .. وإذا سمحنا لهذا العلم التلجيم البارد أن يستمر ويتقدم في طريقه .. فلن يبعد ذلك اليوم الذي نضع فيه قطعة النقود في آلة لنسمع إلى صلاة الجمعة ثم نقول هنا قد ذهبنا إلى المسجد وصلينا .. أو تتمكن آلة أخرى من إجراء عملية جراحية كما كان

تصانده في مجلة « الهلال » القاهرية في نوفمبر عام ١٩٦٢ — ورحبت به الدوائر الأدبية الأوربية أجمل ترحيب .. ويعتبر « حداد » خير من تغنى بالعربية وأن كانت بلغة فرنسية .. وقد عبر « مالك حداد » كثيراً عن احساسه هذا بمصرحات تطلع مرارة والمأ وكذا . كما في رده على الأدباء الفيلسوف الفرنسي « البير كامى » :

— « إن الفرنسية هي مفاتي الذي أعيش فيه .. »
وقوله للشاعر الفرنسي المعروف « أراجون » :
« تلك هي مسألة اللغة يا أراجون .. لو كنت أعرف الغناء لغنت بالعربية .. »
هذه المصريحات المحتجة التي تؤكد أصالته وروحته العربية واحساسه بلغة قومه تشهد له بأن الغناء التي تجري في عروقه دماء عربية أصيلة رغم هذه « الرطانة الفرنسية » التي تصدم قراءه العرب — كما يقول « مالك حداد » نفسه :

« لا تلنني يا صديقي إذا ما اصطدمت برطائتي .. »
لقد أراد الاستعمار أن يحل الفرنسية في لساني ، وإن أكون معقود اللسان .. »

من روايات حداد « رصيف الأزهار الذي لا يجيب » .. و « التليذ والدرس » .. و « الأصفر تدور في حلقة مفرغة » .. نلمس صنعة الشاعر اللبية وقدره الراوي الذي يجمع في أسلوبه بين الصورة الشعرية والمباراة الفلسفية .. وهما تجربتان جديبتان في الشكل الفني ، كما انهما تتميزان بالجدة في الموضوع ولعل ما يميز مشاعر قاريء روايات « حداد » هو حزن المؤلف أكثر من بؤس وشقاء الشخصيات ولهذا تبدو الحكاية والشخصية والأحداث باهتة بجانب هذا التيار المتدفق من الأسلوب الفني والمباراة اللبية . وهكذا يغلب على أعماله المذهب الإنطباعي وبريق رمال الصحراء وفي تناؤل مرير — على حد قول « مالك حداد » نفسه :

« لا أظن أن في سلوكنا مثل الآخرين ما يبعث على الشعور بالخل والفضة ، ذلك لأن الآخرين أيضاً لا يمكنهم أن يسلكوا غير سلوكنا .. ولا يمكنهم في هذه الأيام أن تكون فريداً إلا إذا غنيت في مجموعة حتى يسمع صوتك .. »

وفي رواية « التليذ والدرس » اهتم « مالك حداد » اهتماماً خاصاً بالحوادث والمقدرة .. بينما اتخذ لحكاياته الشكل الفني الشائع .. ففي هذه الرواية نجد طبيباً عربياً في جنوب فرنسا يستعيد أحداث ماضيه في ليلة لم يجد فيها إلى النوم سبيلاً وكان سبب هذا الارق وتدقيق هذه الذكريات أن صديقاً عزيزاً يعمل جراحاً — وكان موضع حبه وإعجابه — بلغه أنه يحتضر .. وكانت معه في الغرفة ابنته « فضيلة » تطلب منه أن

وقد استطاع « الشرايبي » ان يعبر عن آلام مواطنيه، فقد عاش معهم « يأكل ما يجد ، وينام حيث يتيسر له مكان النوم ، ويشغل احيانا حسب الظروف عملا ، وبائع صور خليعة وحبالا وعابلا في منجم للفحم .. » وهذه القصة تعبير وثيقة دأمة عن مهاجري افريقيتا الشمالية الذين كانوا يعيشون في مدن التصدير في ضواحي باريس . ان هؤلاء المهاجرين قد جذبتهم الاعلانات في عاصمة الجزائر وهران .. وقد ندعهم الفقر الى الهجرة آملين ان يخفوا من وطأة الشقاء على عائلاتهم .. لقد هاجروا الى فرنسا حيث « الايدي العاملة مطلوبة والديمقراطية والحرية موجودة » .. ولكنهم بدلا من ان يحصلوا على عمل مريح وجدوا انفسهم غير مرغوب فيهم .. وهكذا .. انحدرت حياتهم الى اسوأ مما كانوا عليه في وطنهم :

— ليس هناك عمل ، ولا مسكن ولا مساعدة ، ولا اخوة ، لقد كان لنا في الماضي اسم .. لقد كانت لنا بطاقة تعريف مؤقتة .. وبطاقة بطالة ، وبمعنى آخر لقد كانت لنا شخصية وعلمة وابل غامض . اما الآن فنحن « بهائم » لسنا في السجن ولنا في بيت فقير .. ان احدا لا يرغب فينا حتى الصليب الاحمر » — رواية « البهائم » للشرايبي — دار « جاليكسار » باريس ١٩٥٥ — ص ٢٨ .

ان « ادريس الشرايبي » يوضح ان هدف الجزائريين هو الكرامة الانسانية .. لقد تأثر الشرايبي ، بقولكتر ، كما يظهر من استعماله للحوار الداخلي ، ومن تناوله لفكرة الزمن ..

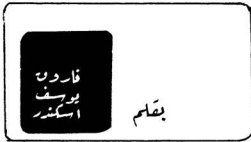
يفعل صديقي الجراح ، ولكن هذه الآلة لن تقدر ان تحل لي ابتسامة صديقي تلك البسمة الالهية الرائعة » . مالك حداد كانت له مساهمات ثورية فعالة في ابراز الكيان الجزائري العربي فقد كان خلال اقامته في سويسرا وفرنسا يساهم في تحرير المنشورات التي كانت جبهة التحرير الجزائرية تقوم بنوزيعها للعالم لمعرض قضية استقلال الشعب الجزائري .. ومثل الجبهة في مؤتمرات الكتاب الاسويين والافريقيين في طوكيو والقاهرة .. وألقى العديد من المحاضرات عن الادب الجزائري المعاصر في مصر ودمشق وروسيا والصين وأذكر من خلال لقائي به في القاهرة عام ١٩٦٥ .. رايه عن الادب والثورة : وحرية الفكر .. وقوله لي :

— « ان اضطهاد مفكر من المفكرين اكثر خطورة وابعد اثرا من اضطهاد جاعة من التوار ، وان كان اقل الحاحا للادى .. ان الثورة الروسية قد تشوهت سمعتها الادبية بعض الشيء بانتحار شاعرهما « مايكوفسكي » وعزلة « باسفرناك » الوحشة ، اكثر مما شوهته الابريالية الاستعمارية بمحاكمة القيصر واعوانه اiban الثورة .. »

وعن مهنة الشاعر الخطيرة في عصرنا .. « الذي يفقد فيها الريش ولكنه يصنع الاغاني » يطالبه « حداد » بصق القية الفنية والانسانية للعلل التي يقول :
« اقل فمك الكبير .. وتكلم صادق سبوا »
سموكم أو لم يسموكم فتذاك سيصنعه لك الآخرون .. »



وتسود مثل هذه الاحاسيس والمشارع والانتعالات اعمال الادباء من جيل « مالك حداد » وبخاصة اعمال « ادريس الشرايبي » وهو مغربي ولد عام ١٩٢٦ من عائلة تنتمي الى الطبقة الوسطى .. وتلقى علومه الاولى في مدينة « تلمسان » بالجزائر ثم رحل الى باريس ليدرس علم الكيمياء .. ولعل دراسته لهذا العلم تفسر لنا سر براعته في التحليل والدقة في الملاحظة فهو يجبع بين عين الفنان الموهوب .. ودقة العالم الطبيعي .. وقد دخل « الشرايبي » الحياة الادبية بروايته « الماضي البسيط » التي نشرها عام ١٩٥٤ .. وهذه الرواية عبارة عن ترجمة ذاتية تعبر عن شعوره الخاص بالغربة اراء تراث اسرته .. ولقد كانت تجربته في فرنسا مصدر وحي لاجسن رواية كتبها « الشرايبي » .. وهي رواية : « البهائم » وهي رواية عبر فيها الكاتب عن حياة اديب جزائري جاء باريس ليكتسب لقبة عيشه من قلبه وفكره .. وعاش ساخطا متبرما ناقيا على المجتمع الفرنسي ، على الذين حرموه نعمة الحياة وانفسدوا عليه عيشه واذلوا وطنه وقومه ،



وتحول الشرايبي اخيرا الى كتابة القصة القصيرة وهي الشكل التعبيري الذي يتفق مع طبيعته الفنية ومزاجه الادبي . ومجموعته القصصية الاخيرة « من كل الاناق » التي ظهرت في عام ١٩٦٧ — وقد ترجمنا بعض قصصها في صحيفة « المساء » القاهرية ومجلة « المعرفة السورية » ومجلة « اضاء الكويت » الكويتية — تؤكد لنا نفوق « الشرايبي » ونموه الادبي وتقديره الفني وامتيازه على ادياء شمال افريقيا من

يفتح قمصته بلحظة درامية ثم يصور لنا بشكل تراجمي في الزمن قصة الحدث الذي انتهى اليه .. فني قصة « الكيس » تبدأ القصة و « بوجيبة » راقد — وقد أرحته البحث وهذه الياس — في مكان من الغابة بعد ان ضل طريقه الى طفله .. وتنتهي القصة بهذه الصورة :

— « وتعر وهو يسير في خطوات مضطربة الى الطريق في نهاية الليلة الثالثة . وكانت عيناه مغضضتين وقدماه متجدبتين . وعندما جاء رجال البوليس وضعوا في يديه القيود وجروه الى مفترق الطرق حيث كان ينتظر رجال الصحافة . وعندما فتح بوجيبة عينيه وشاهد الجمع من الرجال المحتشد حوله مثل خلية نشطة من النحل صاح في بساطة : « ما أعجب ان بضحي هذا الجمع من الناس بوقته ليبحث معي عن ابني ، انا الذي كنت انوي العودة الى بلدي حيث ولدت وكأني حرمت من كل أمل أعيش له هنا .. »

ويبدو من هذه المجموعة ان « شرايبي » قد وجد في القصة القصيرة أسلوبه الفني وطريقته في الاداء والتفسير .. اما « مالك حداد » فهو الآن نحو أسلوب فني يتميز خاص لعله يجده في الشعر .. وقد اصغر منذ ايام ديوانه الاخر « استمع لندائي » ورواية قصيرة بعنوان « ساهدي لك غزالا » لعل تسنح فرصة قادمة للحديث عنها .

(البحث صلة)

□ □ □ صدق

قال التلميذ الفتي لاستاذاه الشيخ

— قلت لي انما لا تصدق ابدا ، ولكنها وعدتني فاصدقته .. ؟؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتي

— وكذلك الساعة المعطلة دائما ، تكون لحظة في عمر اليوم . اضبط ساعات العالم .

امين يوسف غراب

ناحية فنية الأسلوب ومن ناحية الخيال البعيد النفاذ وتتميز هذه المجموعة كذلك بغنصر الخرافة الشرقية والمقدرة على التصوير الناجح وبالنعمة الطاغية التي تفرض نفسها على جو القصص فتسيطر على انتباه القاري واهتمامه .. فني هذه المجموعة من القصص يقدم لنا « ادريس الشرايبي » المحرومين والبؤساء ، ومع انه جعل شخصياته الرئيسية من العرب الا انها تمثل المحرومين المساكين انقياء القلب والضمير في الجنس البشري كله ولهذا تتدفق قصص الشرايبي بغمّة حزينة عميقة وبألوان زاهية من المشاركة والتعاطف الانساني والاثين وان سادت هذا الجو القاتم روح من الفكاهة والدعابة الساخرة المريرة .. فني قمصته « بقايا انسان » يقول رجل عجوز لابنه الذي ضحى كثيرا في سبيل تعليمه :

— « لن اترك لك بعد موتي بيتونا ليست الا اكواما من الاشجار والاحجار ، ولن اترك لك نقودا ليست سوى قطعاً من الورق . ولكن سوف اترك لك شيئا اعظم من كل هذه الثروات التي يتركها الآباء لابنائهم . سوف اترك لك ثروة انسانية من خبرة في الحياة ، سوف اترك لك قدرة على المحبة الكاملة وعلى الايمان بالله وبالاتسان .. »

وفي قصة « الكيس » نلتقي بشخصية رجل عربي يعمل في مزرعة فرنسية نسمعه يقول لامرأة فرنسية تحاول اغراءه واغواؤه :

— « اسمعي يا ماري ، انا صريح مثل هذا الرقيق وبسيط ايضا مثله . وانا مثل هذا الكوم من التبن الذي نرقد عليه — بدائي والي — اسمعي جيدا يا ماري . اذا كنت تبحثين عن اللذة والمتعة فخير لك ولى ان تبتردي ودعيني اشترى لك لعبة تعبئين بها . اما اذا كنت جادة في عوافلك وتريدين شيئا اخر غير العبت والتسلية وقتل وقت الفراغ فأخبريني في صراحة ووضوح ، كل ما اطلبه منك يا ماري هو نقة بسيطة سريعة مثل هذا الخبز وانما يا ماري لا اشرب الخمر ولا ادخن ولسن مرتبطينا بأحد وانا اليوم هو انا غدا .. فلن اتفر .. »

ولكنه فاجأها يوما مع رجل اخر فتركها حابلا معه في كيس ابنه منها وسار على قدميه عائدا الى بلاده . وفي مكان مكتشف من الغابة وضع الطفل ومضى يبحث عن طعام للطفل ولما انتهى من ذلك لم يتمكن من العثور على المكان الذي ترك فيه ابنه ، واخذ يبحث عبتا ثلاثة ايسام بليلاتها ، وفي نفس الوقت كانت زوجته ورجال البوليس والصحافة في اثره يبحثون عنه وعن الطفل .. ويميل « شرايبي » في اغلب قصصه الى ان يبدأ من اللحظة الحاضرة ثم يعود الى الماضي يسترجع احداثه التي انتهت في اللحظة الحاضرة فهو



رشيد سليم الخوري
« الشاعر القروي »

الناحية الانسانية في شعر

الشاعر القروي

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

بقلم: عَبْدَ اللَّهِ يوركي حلاق

— صاحب مجلة (الضاد) في حلب —

هوادة ولا رحمة .
ولما عملت في ميدان الادب والمصاحفة ، ازدادت
محبي للشاعر القروي ، لانه شاعر القوة والحق
والكرامة ، ولان خرائده كتل من الشعور الحي الصادق ،
المعبر بوضوح وانسجام ، عن ادق دقائق الحياة ، وعن
ابعد مرامي الخيال ، وعن ارفع معاني البطولة والفداء .
وكان ديوان « الاعاصير » اول ما ازدانت به
مكتبتي من اثار الشاعر القروي . وقد سباه الاعاصير ،
لما كان يعصف بين جوانحه من العواطف الزاخرة
بالحماسة والالم والتعهدات والدموع . فقد كانت بلادنا
العربية — يوم نظم القروي قصائد ديوانه هذا — ترزح
تحت اعباء الحكم الاجنبي ، وكانت في امس الحاجة الى
شعراء اباة اوفياء ، تشكو بهم ضياعها ، وتفتضح بالسننهم
عن حقها ، وتلهب بحبيبتهم عزائم ابنائها ، فيندفعون

اشعر بلذة روحية عجيقة ، حين اتحدث عن انسان
احبه واجله واقدر مواهبه وبيض ايديه ، واجد متعة ادبية
منعشة ، عندما امسك القلم ، لابن لحبي الحقيقة ،
بعض ما امتاز به هذا الانسان من طيب القلب ، وصفاء
النية ، وسمو القصد والفكر .

والاستاذ رشيد سليم الخوري ، أو الشاعر
القروي ، كما يحلو له ان يسمي نفسه وان يسميه الناس
انسان بكل ما في الانسانية من جمال واشراق ، وشاعر
بكل ما في الشعر من جدة وروعة واصالة وابتكار .

احببت هذا الشاعر ، وانا طالب على مقاعد
الدراسة ، وحفظت كثيرا من قصائده الوطنية ، لان
بعضها صرخات مدوية تنصر للضعفاء والمظلومين ،
وتنادي بالحرية والمعدالة ، ولان بعضها الاخر كالحلم
المتجبرة من نوهة بركان ، تطمح الغزاة والطامعين بدون

لعمرك مهما كان مجد ذوي الفنى
 رفيعا فجد المبقرين ارفع
 اقول لنفسي ويحك الورف نافع
 فنقسم ان الشعر والذكر انفع
 ولم نعم عن درب الفنى غير انها
 الى طرق الاحساب اهدى وانزع
 والشاعر القروي ابعد الناس عن حب الظهور ،
 يأبى ان يمدحه احد بما ليس فيه . فالعمل المجدي في ملته
 هو عمل الخير والدفاع عن الكرامة ، والاحسان في
 اعتقاده ، اجل ما يزدان به الانسان . والى هذا يشير
 في ابيانه التالية :

ان شئت اطرائي ففصل على

قدي ودعني من ذبول التثا
 كل مديح لست من اهله
 فهو لغيري قيل لا لي اتا
 اقسم نعمت من نعمت العلى
 ان يذكر المرء بما احسنا
 وانك لثري فلسفة الاكسلا كلها ، متجلية باحسن
 مظاهرها ، واكمل معانيها ، في هذا التضمين البليغ :

قل لمن يؤتي زكاة
 ليس يرضى الله بالودون
 «لن تنالوا البر حتى
 تتفقوا مما تحبون»
 والبيت الثاني ، آية بيته من آيات القرآن الكريم ،
 جاءت مؤزونة على جزوء الرمل .
 ومن ابلغ وابعد واروع ما ابتكره الشعراء في معنى
 الاحسان ، والحض على البذل والعطاء ، قول الشاعر
 القروي :

من حبة القمح اتخذ مثل السدى
 يا من قبضت عن السدى ينكا
 هي حبة اعطتك عشر سنابل
 لتجود انت بحبسة لسواكا
 حليت بان ستعيش في خبز القري
 فتراقصت للموت نحو رحاكا
 وكاتما الشق الذي في وسطها
 لك قائل نصفي يخص اخاكا
 وشاعرا العربي الاكبر ، يحمل حبة شعواء ،
 على الاغنياء المسكين ، والموسرين المقترين ، فيقرعهم ،
 في كثير من قصائده ، وينهى لو آلت اموالهم اليه ، ليطلتها
 من عقابها ، ويوصلها الى مستحقها :

تشكو خزانكم ضيقا بفروتمكم
 والناس يشكون من فقر ومن ضيق
 ودت ملايينكم لو كنت سيدها
 كيما تحرر من رق الصناديق

لتحطيم الاتيار ، وغسل الخزي والعار .
 وظفرت المروبة بنخبة من اولئك الشعراء الاباء
 المخلمين ، وفي طليعتهم الشاعر القروي ، الذي وقف
 معظم شعره على مناهضة المحتلين والمستعمرين ، وعلى
 التفتي بجدا الابهاء والاجداد .
 وكثيرا ما تحدثنا عن هذه الناحية من شعر القروي
 وبينا انه بلغ قمة الابداع في سبك شعر وطني متين ،
 رده هذا الجيل بلسان الاعتزاز ، وسترده مواكب
 الاجيال القادمة ، بمنتهى الاجلال والاعظام ، وقلنا في
 مجلة ما قلناه ، ان للمروبة لم تر في تاريخها الحافل
 بالكرامات ، شاعرا ناضل في سبيلها نضال القروي ،
 ولا كافع من اجل رقيها وانحاد ابناءها مثل كفاحه ..

نترك الان الناحية الوطنية ، لننتقل الى الناحية
 الانسانية من شعر القروي .
 فقد خلق الله هذا الشاعر ، وجعل بين جنبه قلبا
 مليئا باسمى عواطف الحب والرفق والمروءة . وقد عبر
 هو عن ذلك بقوله : ليطهّن اعدائي ، فراس مال الحب
 الذي في قلبي ، يفيض على بشريتين .
 والحق ، ان شاعرنا الاكبر ، لم يغال في وصف ما
 يكتنزه مؤاده من مشاعر العطف والرحمة . والذين
 عرفوه معرفة وثيقة ، يجاهرون بانه لم يخلق لنفسه ،
 بل خلق لامته وعروبته ولاخوانه في الإنسانية ، فهو دائم
 الخير ، ليس للمال عنده قية بذاته ، ولكن قيته بما
 يصنع من معروف ، وبما يقبل من عثرات . فقد وجد
 المال ليلذل لا ليخزن ، ووجد الفنى ليحسن الى سواه
 لا لينعم هو وحده ، بما ورثه او بما جناه . والشاعر
 القروي يستقيب الفنى البخل ، ويستحسن الكريم الفحيح
 ومن اروع ما تراه بهذا الصدد قوله : « اني لارى عيني
 غزاة في فك الحسنه العمياء » .

ونحن لا نكاد نقرأ شعر القروي ، حتى نشقى في
 خياله نحات صوفية عطرة ، وحتى نلمس فيه نزعة
 انسانية صافية ، تدعونا الى التأمل ، وتثير فينا اوامر
 الاعجاب بهذا الشاعر المعرض عن زخارف الحياة ،
 ومغان الجاه ، والقائع بالكفاف اليومي ، والمسكن
 البسيط .

ولو شاء القروي احراز الثروة ، لكان من اصحاب
 العقارات ، ولكنت له في المصارف اموال تدر اموالا ،
 ولكنه رضي بالقوت اليسير ، والبيت الصغير ، وراحة
 الضمير ، ووزع ما كسبه من رزق حلال ، على البائسين
 والمعوذين .

وليس ادل على ثقافة القروي ، وعلى زهده في
 المال والفنى من قوله :
 اية لا يحزنك فقري فانني
 بانفس من هذي الوريقات اطعم

الناحية الانسانية في شعر الشاعر القروي

وهو يرى ان المال مهما كثر ، لا يرد الموت ، ولا يؤخر الاجل ، وان البر والجدود ، اقرب طريق الى الخلود فاصغ اليه وفكر في حكمته الشعرية التالية :

عجبا لمن يهب الطبيب جيبه ما
ملكتم يدها لكي يجنبه الردى
واذا دعته المكرات اعارها
صمما ، ولم ييسط بعارفة يدا
يعطي الكثير لكي يطيبل حياته
سنة ولا يعطي اليسر ليخلدا
ويستمر الصديق الشاعر في صوغ حكمه البليغة ، فيؤكد ان عطر الصيت الحسن يتقلب على التتن الخارج من قبور الرافدين :

لا عطر في الارض يقوى

على فتانة قبرك
الا الذي فاح بين الناس
انسام من عطر ذكرك

والشاعر القروي لا يكتفي بالقول ، ولكن كرمه واريحيته يسبقان قوله دائما . فها كاد يعود في عام ١٩٥٨ على بركات الله ، من وطنه الثاني البرازيل ، الى وطنه العربي الاول ، حتى استقبل فيه استقبالا رسميا وشعبيا يليق بنبوغه وصدق عرويته ، وحتى اتقيت في دمشق وحلب والقاهرة حفلات تكريم شائقة ، وحتى خصصت له سوريا والكويت والجمهورية العربية المتحدة مرتبات شهرية يتقاضاها مدى الحياة .

بيد انه لم يقل سوى مرتب او مرتبين ، اشترط ان ينفعهما على تعليم فئة من الطلاب العرب الانكباء والرتبتي الحال ، فضر به عمله هذا مثالا رفيعا جديدا ، على تجرده ونزاهته وكرمه الحائى .

وقبل عودة شاعرنا القروي الى البرازيل في صيف ١٩٦٦ ، قدم اليه احد مشايخ الخليج العربي ثمانية ليرة لبنانية ، قبلها الشاعر منه على استحياء ، وقدمها بدوره الى مشاريع الكلية الخيرية بحلب .

وكان الشاعر القروي ، يحسن سرا الى كثير من مؤسسات الرحمة ، ولا يدخر لنفسه الا ما يسد الرق ، ويغني عن السؤال .

محمد عبد الحليم عبد الله



محمد عبد
الحليم عبد الله
في ذمة الله

من أعماق القلب اودع هذا الانسان
الحي .

عبد الحليم الانسان ، والصديق ،
رمز الوفاء والاخلاص .

واذكر تلك الليالي الطبية الحلوة
التي جيفتنا على الحب والوداد .

فعرفت فيه نبالة الرفي الذي
لم تستطع المدنية ان تقضي على

تراثه ، ونلستك الذوق المصفى ،
والاحساس الرقيق ، والعبارة الكريمة

الانيقة ، التي قد تحل السخرية ولكن
في عفة ، والعتاب ولكن في استعلاء

عن الحقد او العنف !
كان عبدالحليم انيقا في كل شيء ،

في لباسه وكلماته ، وحيثه ، وفي فنه
القصي ايضا .

ما زلت افكر مداعباته الحلوة ،
وابتساماته الرقيقة ، وذوقه المصفى ،

مع الاحتفاظ بطابع الريف خلقا وكرامة
وبعدا عن كل ما يشين او ينقص .

كان مثالا عاليا من امثلة الخلق
والنبل والسماحة ، فرحمة الله تسعك

يا اخي الى جوار رفيقك : باكثير
وعطا ، انتم الذين ذهبتكم ميكيرين

وكانت الآمال تتعلق بكم لانكم كنتم
حفاظا لثرات هذه الامة ، وقائفا في

وجه كل ما ينقص هذا التراث او
يعيب به ، فلكم من الله حسن الجزاء

وداعا لعبد الحليم الانسان .
آثور الجندي

عبد الحليم الانسان

عبدالله يوركي حلاق

حلب الشهادة

جمهورية أفلاطون



ARCHIVE

<http://ArchiveBeta.Sakhril.com>

بقلم
خليل علي حيدر

مقد عاش افلاطون في عصر تدهورت فيه دولة المدينة ، وكان المجد الذي اكتسبته اليونان بعد انتصارها على بلاد الفرس قد ذوى قبل ان يولد بوقت طويل . ولقد كان شعوره باخفاق الروح اليونانية اقوى من شعور جميع معاصريه .. وكانت حياته ، مثل حياتنا ، تقع في نهاية عصر من التوسع ، فقد كان في الخامسة والعشرين عندما انتهت الحرب الكبرى بين اثينا واسبرطة بهزيمة مواطنيه واذلالهم ، وتداعت امال عينيهِ الامبراطورية الاثينية ، وادرك ان المهمة الحقيقية ليست اعادة بناء اثينا ، وانما انقاذ اليونان . ولكي يتحقق هذا الغرض ، كان لا بد من تحليل متعمق لدولة المدينة ولطبيعة الانسان .

كان في ستينات حياته ، عندما توقف عن التعليم في اكاديميته فترتين ، سافر خلالها الى صقلية ليكون

احرقوا المكتبات ، فما بها من نفائس يضمها هذا الكتاب وحده . هكذا صرح الفيلسوف الابرقي « امرسون » في لحظة من لحظات التشوه بعد ان نزل ضيفا على مائدة افلاطون ، عبر طريقه الطويل للبحث عن الحقيقة ، فاذا به يقف مشدوها ، تتراقص عيناه في محارجرها دهشة ، ويضطرب فؤاده فرحا وجورا . واذا به يهتف « افلاطون .. ما انت الا الفيلسفة .. وما الفيلسفة الا انت .. »

ولا عتب على « امرسون » في ذلك ، فان افلاطون ، تلميذ سقراط واستاذ ارسطو ، قبة شايخة من قمم الفكر الفلسفي ، وعيلاق من عمالقته .

ولقد كان افلاطون ضمير عصره ، والمعبر عن امال والام جيله ، الجيل السذي عاصر خريف الفكر اليوناني ، وعانى مشاكل تدهور الحضارة .

مستشارا للملك ديونيسيوس الثاني . وفي هاتين المحاولتين لم يحرز نجاحا اكثر مما احرز كونفوشيوس لقن مضى من قبله . فلما اصر افلاطون على نشر العدالة اعتبرها الملك اساءة موجهة اليه ، فما كان من افلاطون الا ان هرب بحياته باعجوبة .

وكان انثد قد بلغ من العمر سبعة وستين عاما ، فكرس اخر ثلاثة عشر عاما من حياته للتعليم ولتنشر محاوراته .

وتضم محاورات افلاطون الثلاثون جميع المشكلات والموضوعات التي كانت تحير العقول في اياهه والتي نازالت تحير عقول المفكرين في ايامنا هذه . وهكذا نجده يناقش الخلود في « فيدون » والحب في « المادسة » واللاهوت في « تيمائوس » . اما الدكتاتورية والديموقراطية والاستوراكية والشوبوعية ومساواة المرأة بالرجل وتحديد النسل وتحسين النسل والتربية والاخلاق والفن والموسيقى وتحليل النفس فيناقشها في كتبه الاخرى . ولكن الغالبية العظمى من اراء افلاطون نجدها مجملة في عظم ابحاثه له ، كتاب « الجمهورية » ، اول ثورة عظيمة للكمال البشري في الادب العالمي .

ولقد وضع افلاطون كتابه هذا بصورة « محاور » تدور في منزل « كتيلاوس » احد اثرياء اثينا . اما الشخصيات فهي « ثراسيماخوس » احد السفسطائيين ، و« ادمنت » و« افلون » شقيقا افلاطون ، و« كتيلاوس » الارستقراطي وابنه ، ثم سقراط و« هولسان » حلال افلاطون .

وقد ناقش الكتاب والشرائح سبب ايثار افلاطون لهذه الطريقة في عرض افكاره ، وتباينت اراؤهم ، واختلفت وجهات نظرهم .

واذا لم يكن ثمة مهرب من ذكر احدي هذه الراء فاننا نرجح رأي « باركر » الذي يقول : « كان الغرض الذي ادى بافلاطون الى ايثار هذه الصورة (اي الحوار) هو نفس الغرض الذي ادى بسقراط الى استخدامها . فسقراط لم يحاول ابدا ان يلقن معرفة ، وانما كان على العكس من ذلك ينكر دائما امتلاكها . وكانت رغبته تنجه الى ايقاظ الفكر . . وكان ينادي ما يوجد في عقل الانسان ويثق في ان هذا العقل سلبى النداء . . وكذلك الحال مع افلاطون : فقد اراد ان يقدم اليها الفكر وهو يعمل ، ويتجنب السرد المحض لنتائج النهائي . ولقد كان افلاطون حاضرا ومعلما مثلما كان كاتبا ، وعندما كان يسيطر بقلبه على الورق ، كان من الطبيعي ان يسير في كتابته بنفس الطريقة التي توجي بها مناقشاته مع تلاميذه في الاكاديمية . ولقد اراد ، ككل معلم اصيل ، ان يجعل الناس يفكرون بفضل تعليمه ، ورأى ، بوصفه كاتبا ، ان افضل طريقة لايفاظ الفكر في اذهان قرائه هي ان يجعلهم يتابعون سير ذهن المؤلف ، فال موضوع يناقش

في ذهن الفردى بطريقة مشابهة الى حد بعيد للطريقة التي يناقش بها بين حلقة من المتحدثين : اذ يعرض احد الراء ، لكي يهدهم رأي اخر ، حتى يتم بلوغ حقيقة تظل صامدة الى النهاية » .

تبدا المناقشة ، في كتاب الجمهورية ، بسؤال عن ماهية العدالة بوجهه سقراط (لسان حال افلاطون) ، ويجيب عليه « ثراسيماخوس » قائلا : « العدالة ان هي الا مصلحة الاتواء . وفي عبارة اخرى القوة هي الحق » . ثم يمشي هذا السفسطائي في تجعيد الاتواء والاغنياء ، وتحقير ضعف الفقراء وخضوعهم ، ويختتم حديثه بقوله : « وعده هي العدالة » .

ولكن سقراط يبدي رايه فيقول : « ان العدالة قد لا تكون حماية الاتواء من الضعفاء ، ولا حتى حماية الضعفاء من الاتواء ، بل ربما من الافضل ان يقبل انها تنسيق بين جميع افراد المجتمع ، واتفاق متبادل بين الفرد والدولة . اذن ليست هي فكرة جيدة ان تصور دولة عادلة حتى نستطيع ان نفهم من هو الفرد العادل ؟ ولكن .. ما شكل هذه الدولة « العادلة » ؟ وعلى اي نظام تقوم ؟ ان دولة افلاطون المثالية ليست دولة دكتاتورية بها رجل واحد حر والآخرين عبيد ، كما انها ليست دولة الاتراء الجشعين . وهي اخيرا ليست ديموقراطية ، فالديموقراطية هي حكم الغوغاء » .

كيف كان من الممكن لافلاطون ان يؤمن بالديموقراطية وحكم الشعب وهو الذي شاهد المصير المخوف الذي انتهى اليه سقراط على ايدي المحلفين الذين تم اختيارهم بالطريقة الديموقراطية) .

نعم ، ليست مدينة افلاطون الفاضلة كل هذا وانما شيء اخر ، نظام جديد . انها مدينة « الفلسقراطية » ان صح التعبير ، فالهدف الاول لدولة مثالية هو تربية افضل للمواطنين كعلم ، اذ من الضروري ان تكون جمهورية افلاطون دولة من الحكماء يقوم على الحكم فيها اكثر المواطنين حكمة وينصب ملكا عليهم . ولن يتحدر الجنس البشري حتى يصبح الفلاسفة ملوكا والملوك فلاسفة ، وحتى تجتمع المعرفة والقيادة في شخص واحد . ولهذا صرح افلاطون بانه يجب ان تبدا بتربية النشء .

« علينا ان ننهي الى الخلاه جميع سكان (المدينة المقترحة) ممن تزيد اعمارهم على عشر سنوات . ولن يتحدر ولتحفظ بالاطفال الذين يتقون بهذه الطريقة ، شر عادات والديهم المرذولة » .

ويودع هؤلاء الاطفال حضانة الدولة حيث يتلقون — ذكورا واناثا — تغليها واحدا ويدربون على الوان الرياضة البدنية لان العقل السليم لا يكون الا في الجسم السليم . وعندما يبلغ الاطفال سن العاشرة فليعلم ان يضيئوا الى منهج دراستهم مادة واحدة اخرى — هي الموسيقى . وعند افلاطون كانت الموسيقى تعني

وتعود الى « التلاية » فاتهم بعد بلوغهم سن العشرين ، يعتقد لهم امتحان عام عسير ، حيث تجري عليهم جميعا اختبارات جسمية وعقلية وروحية غاية في الشدة ، ومن يرسب في هذا الاختبار الثلاثي يبدد ويضم الى الطبقة الدنيا التي تتكون من الفلاحين والمعال والتجار ، اولئك هم « معدن الدولة الخسيس » .

اما من بقوا بعد التصفية فيواصلون تعليمهم ، ويدرسون العلوم في السنوات العشر التالية ، اي من سن العشرين حتى الثلاثين فيتعلمون الحساب والهندسة والفلك على ان تدرس هذه المواد لتربية حاسة الجبال ، لا لغايتها العملية . ذلك ان افلاطون يرى انه لا يليق بكرامة المواطن الراقي في الجمهورية ان يستخدم الحساب في المبادلة التجارية او في بناء القنطرة او صناعة الآلات . فاذا تمت دراسة العلوم في سن الثلاثين ، عقد امتحان تصفية جديد اصعب وافسح من الامتحان الاول بدرجة كبيرة . فمن نجح فيه واصل دراسته ، ومن اخفق سلك في الطبقة الوسطى ، طبقة الجند حراس الدولة « غضة الدولة » .

والجند في جمهورية افلاطون يضطلعون بواجب خطير ، فهم ليسوا قوة للمعدن بل للذود والدفاع . فافلاطون يمتدح الحرب ، لكنه يدرك ان خير وسيلة لبقاء القزاة ان تشر في وجوههم وتحت سمعهم وبصرهم سيفا بقل لا يقل .

اما ذوو العقول الاسمى الذين تتخض عنهم هذه التصفية فيخصصون لدراسة الفلسفة من سن الثلاثين وهم رجال ونساء يديرون على ولاية شؤون الحكم في الدولة ذلك ان افلاطون كان يؤمن بمساواة النساء والرجال في الحقوق والقدرة على الريادة .

وتدرس الفلسفة خمس سنين تنتهي بعدها الدراسة النظرية التي يتلقاها الممتازون من الجنسين ، والغرض من هذه الدراسة ان يكون الطلبة على بيئة تامة بالفرق بين العالم المادي والعالم المثالي ، قادين على التمييز بين عالم الحسوس وعالم العقول . وهم يلتقون هذه الدراسة ليفهموا جوهر الابدية الذي هو المثل في العقل الالهي ، وهي التي يعبر عنها في شكل ناقص ، باعمال الناس الحادثة في مجرى الزمن .

وان هذه المثل الالهية لتسج في ناعم ، مثلها في ذلك مثل نعمات الاغنية وتكون نموذج الحياة . ولا يستطيع ان يفهم هذا النموذج سوى من يتبع باكثر تسط من الحكمة بين طلبة افلاطون في الجمهورية ، فهؤلاء وحدهم هم الذين يصلحون كحكا للدولة . ولكنهم لا يزالون بحاجة الى دراسة عميلة ، فعملهم الان بعد اذ تخرجوا ان يبدؤا التدرب على شؤون الحكم ، فينزولوا من تاملاتهم الى ما يضرب فيه الناس في الحياة اليومية .

التناغم — وكانت هذه المادة تشمل الرياضيات ، وهي علم الاعداد المتناغمة ، والتاريخ وهو قصصة التقدم المتناغم ، والدين وهو روح الايمان المتناغم .

وهكذا فعلى جميع الناشئة حتى سن العشرين ان يمارسوا الرياضة البدنية حرصا على صحة اجسامهم ، وان يدرسوا الموسيقى من اجل تالف ارواحهم . ويبدى افلاطون هنا رايه في اختلاط الجنسين فيقول :

ينبغي ان تكون التربية مشتركة بين الجنسين . فيدرس الاولاد والبنات معا كما يلعبون سويا . وعلى البنين والبنات ان يتخفوا من ملابسهم جميعا حين يتلبهم بالتدريبات الرياضية فمواطنو الجمهورية — كما يقول افلاطون — يتكلمون ثوب الفضيلة شعرا . ويجب الا يستشعروا الخجل الكاذب والسخرية حين يرون الجسم البشري فلا يكان في الجمهورية للحياء المصطنع . والان وقد كبر « الاطفال » ونضجت غرائزهم لا بد من توضيح قضية التناسل والتكاثر .

« يتصل خير الرجال بخير النساء » ، تحقيقا لغرض واحد ، هو انجاب نسل رفيع . . وتكون هذه النسوة لهؤلاء الرجال على الشيوع . فالجمهورية يجب ان تخلو من الزواج الفردي ، والامر الخاصة . ولا يكاد الاطفال يولدون حتى يمزجوا عن ابائهم ويودعوا حضن الدولة . ويجب الا يعرف الاباء انشاءهم ، ولا الابناء ابائهم وبهذه الوسيلة ، دون سواها ، تستطيع الاخوة العائلية ان تنفصل من عالم النظريات الى الواقع ، فكل فرد من هذه الدولة يمكن ان يعد اخا لكل انسان آخر .

ان مشاعية النساء لا تعني الزواج بدون تمييز . بل هناك بالاحرى رقابة تناسلية شديدة صارمة على جميع العلاقات التناسلية ، فاذا كنا نستحصل على نتائج طيبة من توليد سلالات قطعان المشيشة توليدا اصطناعيا من حيث الصفات المرغوب بها فلماذا ينبغي الا نطبق مبادئ مماثلة لتلك على تزاوج الجنس البشري؟ وذلك لانه ليس يكافئ ان نربي الطفل تربية سديدة ، بل يجب ان يولد ولادة سديدة فالترية يجب ان تبدأ قبل الولادة . لذلك يجب الا ينسل اي رجل او امرأة ما لم يكونا في صحة ممتازة . وعلى كل عريس وعروس ان يستصمدا شهادة صحية . ويجوز للرجال ان ينسلوا فقط عندما يكونون قد تجاوزوا الثلاثين من العمر ، ولم يبلغوا الخامسة والاربعين منه ، اما النساء ففي العشرين وتحت الاربعين من العمر . اما المواليب الذين يولدون من زواج لم يرخص به ، او مشوهين فيجب التخلص منهم .

ويكون الزواج ، قبل وبعد السن المحددة للتناسل حرا ، شريطة ان يتم اجهاض الجنين . كما وان الزواج بين الاقرباء محظور ومنوع ، اذ انه يؤدي الى الاحتطاط.

الداء الى حد بعيد ، لكن المصابين بمرض عضال يجب ان تتاح لهم سبل الموت في رحمة لان الموت السريع خير من المرض الطويل .

وبالرغم من ان افلاطون في سني شبابه الاولى كان فنانا ادبيا الا انه في جمهوريته نراه ينظر شذرا الى الادب والفن ، « فالشعر دجل كالتصوير » . وهو ، اذ يتكلم في الطريقة المثلى للتربية الفاضلة ، يطلب الابتداء بالقصص الجدية البريئة الحائلة على الخير والابتعاد عن قصص هوميروس وهزيود ومن نسا نحوهم الى الشعراء ، لانه في رايه - مرفولة من حيث المادة ومن حيث الصورة . اما من حيث المادة فقد سميت عقول اليونان وانفسدت ضمايرهم بها تروي عن الالهة والابطال من اخبار الخصومات وبيع الاعمال ، وبما لا تفتأ تردده من ان الرجل لا يعدل لخير غيره وشقاء نفسه ، وبما تصف من هول الموت وتفاهة الحياة الاخرى مما يوهن العزيمة ، ويقعد عن الجهاد في سبيل الوطن . وبما من حيث الصورة فان الفن يقوم بالحكاية ويخفي المحاكاة ، والشعر بالفائقة واوازونه يحاكي كل شيء : التوى الطبيعية والحيوانات والبشر والزرعات الرقيقة والشهوات الدنيئة ، فيبعث في النفس مثل ما يصف من المواقف والاعمال ، والمحاكاة المتصلة تصير عادة - فنحن - افلاطون - مع اعجابنا بحاصل هذا الشعر ننتعه بأنه معلم وهم ، ونعبد الى صاحبه فنضع اكليلا على راسه ونشيعه الى حدود المدينة فنقتفيه بها ونحن نقرن بديحة . ولا نستحي غير الشاعر عف اللسان سيدي الرأي هاديء النسق يحاكي الخير ليس الا .

« ان اولئك الشعراء منذ ايام هوميروس ، انما هم مقلدون بحسب : فهم يحاكون صور الفضيلة وما شابهها ، اما الحقيقة ذاتها فلا يصلون اليها قط . ان الشاعر كالرسم .. الذي يرسم اسكافيون دون ان يعرف شيئا عن اصلاح الاحذية » ..

اما عن الرق فقد اعتبر افلاطون نظام الاسترقاق نظاما ملائما للجمهورية الفاضلة او للحكومة الانسانية في مثلها الاعلى ، وحرم على الرقيق حقوق المواطنة والمساواة . وقضى على الرقيق الذي يتناول على سيد غريب غير سيده بتسليمه الى ذلك السيد للاقتصاص منه على هواء ولا يجوز مكاك من العقوبة الا ببشئته ورضاه .

وهكذا ، نصل الى موقع نجد انفسنا فيه وقد المننا تقريبا بالهيكل العام للجمهورية ، مدينة افلاطون الفاضلة .

ولا بد ان الغاري قد لاحظ « مثالية » الكثير من الانظمة التي وضعها افلاطون في كتابه ، واحس بسمعة المجلال للنقد والانتقاد . غير ان محاوره « الجمهورية »

فيجب ان يخبروا الحياة قبل ان يسمح لهم بالمشاركة في توجيهها . ومن اجل هذا يقضون خمسة عشر عاما ، يتحتم عليهم فيها ان يتدجوا في الحياة العملية وان يضعوا فلسفتهم موضع الاختبار ، فيجتلقوا وسط اعاصير من الكراهية والطموح والغيرة والمعدون والطمع (المصادرة من المدن والدول المجاورة) ، ويجب ان يتعلموا كيف يرتفعون فوق دنيا جيرانهم الذين يتخذون من النضال والقتال سبيلا للسبق والتقدم .

والقاتل الذين يجتازون بنجاح الدراسة النهائية في التربية العملية يتم اختيارهم اليها حكاما للدولة .

ويجب ان يحرم اقتناء المتاع على هؤلاء الحكام ، ضمانا لامانتهم ، فكل ما يملكون شائع بينهم ، وهم يصيرون وجباتهم في مطاعم عامة ، وينامون معا في نكتات ، وليس لهم غرض خاص ، فهم لذلك يمتنعون عن الرقوة ، ولا يطمحون الا لشيء واحد هو اقامة العدل بين الناس والعمل على بقائه ابد الدهر .

اما فيما يتعلق بعبادة الشعب فهؤلاء يكيفون التدريب والتعليم ويرشداهم الحكام لكي يعيشوا في عالم يستمتعون فيه باجور كافية ومساواة وانصاف . فيمسك النجار عن جيع ارباح باهظة ، ويكف العمال عن المطالبة باجور مرتفعة غير معقولة .

ويقضي النظام بالا يكون في الجمهورية محابون ، بل يكفي بعدد يسير من القوانين « فكلما ازداد عدد القوانين التي تسنها بالجماعة هوان ، لان التجار يخرج عليها » . وبهذه الطريقة يكون من حق كل فرد ان يهتم بشؤونه الخاصة على شريطة الا يعتدي على حقوق الاخرين .

والذين في جمهورية افلاطون لا بد وان يتطهر من كل اساطيره الوحشية ، ومعجزاته الخرافية .. وانما الدين ما وافق عقل البشر .

هذا عن راي الجمهورية في الدين والالهة ، فما رايها في معاملة الانسان للانسان ؟

ان توام هذه المعاملة هو مراعاة العدالة في ادق صورها ، والاستغلال بالتجارة هوان ، لان التجار يستحيل عليه - في نظر افلاطون - ان يجمع بين النجاح والابانة في ان واحد .

والجمهورية تشفق على المجرمين ، فهم لا يعاقبون بل يمنعون من ارتكاب الجريمة .. فالرذيلة ثمرة الجهل ، وانما يكثر الانسان جرما لسوء تربيته . لذلك يعامل المجرمون على انهم مرضى يقاسون من امراض عقلية ، فيرسلون الى مستشفيات حيث يتبعون بعبيدين عن السوء والاذا الى ان يشفوا من علمهم .

والمرض الجسماني اثر من اثار الجهل ، شأنه في ذلك شأن المرض الخلقي . والتربية الصحيحة تستأصل

الى حد الدعوة الى طرده من الدولة ، لسبب بسيط هو انه اذا كانت الدولة المقصودة هي دولة الفلسفة ، فان نفوذ افلاطون فيها اقوى من ان يتمكن احد من طرده ، بل ان دعايات هذه الدولة ذاتها قد شيدت على اكتسافه — وهي حقيقة لا سبيل الى انكارها حتى لو كنا نؤمن بان هذه الدعايات مخجلة ، او بانها شوهت البناء بأكمله » .

لقد حاول افلاطون — كما يقول « دوكاسيه » — ان يعيد الفيلسوف الى المدينة لكن عبثا ، ولذا ترك في جمهوريته وقوانينه ، على الاقل ، الخطوط الكبرى لاصلاح سياسي خارق : فترية المواطن القاسية ، وابعاد الشعراء ، وشيوعية الممتلكات والنساء .. تصور ، جميعها ، الالهام العقلية المتناسكة ، اوهم الاستقرار الذي صحا والذي يحاول ان يرسم على لوحة الازل صورة بعيدة عن الواقع الاليني ، صورة المدينة الثابتة .

خليل علي حيدر

المصادر والمراجع

- ١ - جمهورية افلاطون - ترجمة د. فؤاد زكريا - القاهرة ١٩٦٨
- ٢ - دراسة لجمهورية افلاطون - بقلم د. فؤاد زكريا - القاهرة ١٩٦٧
- ٣ - تاريخ الفلسفة اليونانية - يوسف كرم - القاهرة ١٩٣٦
- ٤ - قصة الفلسفة - ويل ديورانت - ترجمة احمد الشيباني - بيروت ١٩٦٥
- ٥ - تراجم حية لاعلام الفلسفة الغربية - هنري نومس - القاهرة ١٩٦١
- ٦ - اعلام الفلسفة كيف نفهمهم - هنري نومس - القاهرة ١٩٦٤
- ٧ - تاريخ الفلسفات الكبرى - بيير دوكاسيه - ترجمة جورج بونسي - بيروت ١٩٦٠ م

تتميز ، من بين النصوص القديمة ، بخصائص فريدة تؤدي — في حالتها الخاصة — الى زيادة الموقف تعقيدا . فهذه المحاورة ليست مجرد نص قديم نحسب ، وانما هي تراث كامل . انها قد اندمجت في الحضارة الغربية ، واصبحت دعامة اساسية من دعائنها ، الى حد لم يعد من السهل معه ان يتناولها المرء بالدراسة بوصفها نصا مستقلا ، اذ انه سيجد نفسه حثا يواجه مشكلة التراث الغربي الفكري كله . ويزداد الامر تعقيدا اذا وضعنا في اعتبارنا حقيقة اخرى ، هي مدى سيطرة الحضارة الغربية على العالم الحديث وهي سيطرة تعبر عن امر واقع ، بغض النظر عن كونها مقبولة او مكرهة . ففي هذه الحالة يتضح لنا ان قدرا غير قليل من تعاليم « الجمهورية » قد تغفل في حياة الانسان منذ عصور طويلة الى حد يصعب معه الوقوف ازاء هذا النص موقف النقد الواضح ، الا اذا كنا على استعداد لتقد تراث حضاري كامل ، قد نكون نحن انفسنا متأثرين به الى حد غير قليل .

واخيرا ، فقد وصف احد الكتاب مدينة افلاطون الفاضلة بأسلوب ساخر ، ينطوي مع ذلك على قدر غير قليل من الحقيقة ، فقال : « ان جمهورية افلاطون تتألف من موظفين ومحاربين وصناع وخرفيين وعبيد واناث ، ولكنها لا تتألف من بشر . فكل فرد مسهر او عجلة ذات شكل معين في آلة الدولة ، ووقتها عبدا هذه الوظيفة الرسمية ، فليست له اهمية في اي شيء اخر . وهو ليس ابنا ولا اخا ولا زوجا ولا ابا ولا شقيقا ولا جديا .. »

هكذا يصف « ديمتري بيزاريف » سكان مدينة افلاطون . اما « جورج سارتون » ، فيدعونا الى ان نعامل افلاطون كما اراد افلاطون ذاته ان نعامل الشاعر « هوميروس » : فنكثل رأسه بالغار ، ونطرده من الدولة ! « ولكننا لا نود ان نذهب في انتقاد افلاطون

وعين الرضا عن
كل عيب كليلية..

رايت فضيلا كان شيئا ملقعا
فكشفت التحميص حتى بدا ليا
فانت اخي ما لم تكن لي حاجة
فان عرضت ايقنت ان لا اخا ليا
كلانا غني عن اخيه حياته
ونحن اذا متنا اشد تفانيا
فلا زاد ما بيني وبينك بعدما
بلونك في الحاجبات الا نهاديا
فعين الرضا عن كل عيب كليلية
كما ان عين السخط تبدي المساويا
عبدالله بن معاوية



نضجنا . وهل ثمة من ينكر ان القمر
آنذاك كان يرسل خيوطا من النور
اعظم فتحة واشراقا ، وان
العشب كان أشد نضرة واخضرارا ،
وان السواء كانت أكثر زرقا وصفاء
والناس افضل واجمل واروع ؟
اننا في بواكير الطفولة انما نرث
عطية عظمى لا تقدر بثمن ، الا وهي
ان نسحر بالذخا من حولنا ، والمراء
الذي يكون في مكنته ان يقبض يده
على هذه الهبة بحرص واعتزاز ، فهو
لا بد صناثر في مقبل الايام شاعرا
او كاتباً او فنانا بمعنى من معاني
الفن الجبيل الخلاق . فلك ان
رؤيتك الجدة والجديد في كل شيء ،
انما هي بعينها التربة الخصبة
الباهرة التي ينبت فيها الفن وينمو

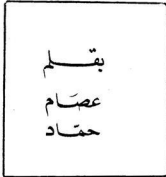
اروح اسائل نفسي : ترى ...
كيف ومتى تحركت رغبتني في الكتابة ؟
وما الذي وجدو الكاتب على وجه
العموم الى استلال القلم ، ثم الى
عدم اغياده طيلة الايام التي يقدر له
ان يقضيها على ظهر هذه الارض ؟
ولعل من اشق الامور على الكاتب
ان يستذكر الزمن الذي ولدت فيه
رغبته الملحة في الكتابة . واكبر الظن
انها انما تبدأ على شكل حالة
عقلية خاصة ، تبعث في نفس
صاحبها حساسة تتزايد مع الزمن
بانسطاراد ، قبل ان يشرع الكاتب في
ملء افراخ الورق بالكتابات . واثبت
اذا ما شئت ان تتبع سيل هذه الرغبة
الى منبعه ، فلامناص لك من ان تعود
عبر الايام والاعوام الى بواكير

حب مفقود بيني وبين الازهار
الاصطناعية . ولعل زهرة اصطناعية
واحدة ، اراها تقبض جامدة كالجنة
المنحلة ، لا روح فيها ولا رائحة ،
في عقر بيت من البيوت التي ادخلها ،
كفيلة لوحدها بان تجعلني انخيل
وكنائي في زيارة واجبة لمقبرة ، وكان
مضيفي ليس سوى واحد من هؤلاء
النفر من اغنياء الحرب الذين اثروا

دفاع عن الرومانسية

ويترعرع وينضج .
لطالما نزلت في صباي ، كالكثيرين
من اترابي في المدرسة ، القصائد
الشعرية المختصرة والطولة . ولقد
كانت بطبيعة الحال اشعارا ساذجة ،
وفيها الكثير الكثير من الزخرف
والبوعة والادعاء . خذ مثلا :
وحقك عفت دلالة غريباً
تطاول حتى اذان القلوب
علام الدلال ورب الفرام
تجد فيك سوباً مهيماً
علام الدلال وهذا كيانك
ينفخ بالحب شهداً صبيها
كان دمائك ليت حبيبس
يحاول من وجنتيك الهروباً

الطولة ،
والحق ان الدنيا في عين طفولتنا ،
تختلف اشد الاختلاف عنها في سني



من وراء التجارة بالاكتمان .
شعور خفي لا املك له دفعا ،
حتى ولو بدا البيت قصراً من قصور
« الف ليلة وليلة » ، ومهما جهد ربه
في ايهامى بانه ليس سوى هرون
الرشيد عاد بلحمه وشحمه الى رحاب
القرن العشرين من جديد .

واراني حين اجلس للكتابة ، لانفك
اصول اشباح الورود الاصطناعية
والمومياءات المنحلة ، مخافة ان يندس
احداً في اصيص الازهار الذي ابتقه
او يتسلل الى صرح الانتكار الذي
اشيده .

وهنا لا انهالك في كل مرة ، الا ان

وكلت كلها زاد في حدائتي رصيدي
من الشعر المنظوم، كلها ازدادت لغتي
تنميقا وزخرفة ، وكلها تفتت وراثت
بالتالي المعاني التي أحاول التعبير
عنها .

والألم تكون دماء الحبيبة الغالية
المدلة ، سقى الله أياها ، أسدا
مكتشرا عن أنيابه ، يحاول الانفلات
من قفص خديها ؟ ولم لا تكون
دماؤها ثعلبا أو ذئبا أو كلبا ..
أو على الأقل أرنا أو دجاجة ؟

اصدقكم القول أتى عجائز حتى
يومي هذا من إيضاح حقيقة الأمر .
وكل ما استطيع به تعليله وتفسيره
هو انتقادي وراء سراب التهويل
ووقع الانساق وإيقاع البحر
وامضاء القافية ، دون أن أعير
الانفتاح الأول اللازم للفكرة الحقيقية
التي تدور في خلدي ، والاحساس
الاصيل الذي يخلج بين جوانحي.

ثم بالله ما أكثر الإبيات والقصائد
التي نظمها في بواكير حدائتي عن
البحر .. البحر الذي لم أكن لأعرب
عنه الشيء الواضح والكثير ، بالتلظر
لكوني أصلا من بلدة جبلية بعيدة عن
البحر .. أي بحر .. فالواقع أن البحر
في خاطري لم يكن بحرا معينا من البحار
المعروفة . فلا هو البحر الأبيض
المتوسط ، ولا البحر الأحمر ، ولا حتى
البحر الميت . لقد كان بحر الخيال ..
أو لعله بحر من البحور الستة
عشر ، التي اغرقتنا فيها الخليل بن
أحمد الفراهيدي طبيب الله تراه .

ولم لي لم أكن أرى في البحر سوى
عبادة مرتعة مرقطة بشتى الألوان ثم
لا يعنيني منه الا كونه مجالا أصول
فيه وأجول لأروي به ظمأي للبلافة
والتهويل ، ولتضخيم المشاعر التي
تكتنف كيانتي . أما المكان والزمان
والنضريس الجغرافي ، فليس لهما
فيها اكتب عنه محل من الأعراب.
كان الكون كله مبتشحا برداء قفصا
من الرومانسية . ولا مشاحة في أن
البحر بصفة خاصة هو الملك غير

النوح للرومانسية . البحر الذي
تخبط فيه الأمواج ، ويرغي فيه
النبح ويزيد . البحر موطن المراكب
المجعة ، وملعب الملاحين البواسل.
البحر الذي تترامى على هواشمه
الموانئ الحافلة بحشود التماس
الفاشين ، تروح وتغدو في غارها
الصبايا الحسان ، حيناً بلون الذهب
الابريز ، وآخر بلون البيرونز اللامع
الفاتن، ولكنهم جميعا ذوات جمال
أخاذ ، لا يفتنن بجرن الى التخطب
في دوامات العاطفة المتناججة ، أو
الضياع في مجاهل المفاسرات
الخطرة . فلم لا أعيد إذن وأزيد في
التحدث عن البحر في أعوام طفولتي
الرومانسية ؟

وعندما تقدمت من ثم ببس السن ،
عاد شعري — على شح — أقل
زخرفة ، وكذلك أخف رومانسية ، الى
أن حان الحين الذي أصبحت اعتبر
نفسى فيه من الأدباء الواقعيين ،
الذين لا يؤمنون في إدبهم بغير المذهب
الواقعي . ومع ذلك فلتشد يا أسف
أذ أرى الرومانسية ملازمة دوماً
للتنقيح والزخرفة ، وباجبذا لو كان في
وسع الشاعر أو الكاتب التخلص من
التنقيح والزخرفة ، دون أن يتخلص
معها من آثار الرومانسية .

فالحق أنني رغم واقعتي الحالية
لم أتم لحظة واحدة على أمسك
الرومانسية بتلابيبي ردحا من عمري
وعلام ترائني أتم ، والرومانسية هي
التي دفعتني مثلا الى احضان الحب
أول مرة ، وهي هي التي جعلت
الفتيات كلهن جيلات في عيني . وهي
هي التي كانت تطفئ انتباهي لوجودهن
في أي مكان ، في الشارع ، وفي الحديقة
وفي الحافلة وفي بيت الجيران . وهي
هي التي كانت تملأ جوانحي بتباريح
الشوق والغايض ، لجرد نظرة عابرة
في اتجاهي ، أو نغمة عطر تتسلسل
الى خياشيمي من ردن صبية ، أو
صفين من الإنسان اللامعة يسودان
كاللؤلؤ من بين شفتين منفرجتين نصف
انفراج ، أو مصافحة أنامل رطبية أو

اهتزاز طرف تنورة لهبة ريح .
لقد كانت الرومانسية هي النفاخ
الذي يتغلغل في عظامنا جاعلا من كل
شيء حولنا مثارا لخيلنا ، سواء أكان
ذلك الشيء هو الجبال الغريب الذي
يلك جبل طابور أو عجلون ، أو صنين
أو هو المجد المؤتل الذي يضم معارك
الحروب الصليبية . والرومانسية
هي المشكاة التي منحت الحياة تلك
اللمعة غير العادية ، وهي المضاء
والهواء بالنسبة للنفوس الشابة
والخيالية ، وهي هي واللحمة والسدى
بالنسبة للفن الجليل . أقلم يصدفق
ديدرو في كلمة له عن الفن إذ قال :
« الفن هو ذلك الشيء الذي يرى ما
هو غير عادي في المواضيع العادية ،
وما هو عادي في المواضيع غير
العادية » .

إن الشباب في هذا الخيال ، لم يرى
نفسه بخوض غمرات القتال هي حملة
لغزو قلعة الرض وغيرهما من
القصص التاريخية ، أو يتنافس
مبتشحا بالحياة في قسارب تمزقت
أشرفته وآل الى الفرق في مضيق
باب المندب ، أو يغذ المسير وينقذته
على كتفه بين كتبان الربع الخالي ،
أو يبحث عن الكنوز المفقودة مع قبر
الزمنان في الف ليلة ، أو مع
« ستيفنسون » في جزيرته ، أو ينصت
الى اصوات الجانبيق في معارك أحمده
الجزائر حول أسوار عكا ، أو يساعد
البرت شفايتزر في تريض التماس
في الجاهل الافريقي .

أجل أنني رغم واقعتي التي اعتر
بها وأحرس عليها وأدعو إليها بكل
ما وسعني من قوة ، لم أتم لحظة
على المرحلة الرومانسية التي انقضت
من عمري .

لقد كانت رومانسية محببة ، لو
لم يصاحبها التنقيح والزخرفة ..
رومانسية حلوة ، لو كانت في حلوة
السكر .. لا « السكران » .

رومانسية جميلة ، على أن تكون في
جبال الزامير الحية ، لا الأزهير
الاصطناعية المحطلة .

النهضة الأدبية الحديثة في ليبيا

بقلم : محمود سلطان

ولا شك ان القصة الليبية تميزت في الحقبة الاخيرة بطابعها الخاص، فهي وان كانت من قبل تعتمد اعتيادا كبيرا على الشكل ، من حيث الاسلوب الرصين ، والعبارة المنتقاة ، دون عناية بالمضمون ، الا انها استطاعت بعد ذلك - اي بعد الاستقلال - ان تشق طريقها ، لتخلق لها طابعها خاصا ، ولتجمع بين الشكل والمضمون معا ، ولتعالج مشاكل عديدة تتصل بالاجتمع ، وبالانسان ، وبالوطنية .

وليس ادل على ذلك من قصص « خليفة التكنالي » و « كامل المقهور » و « بشر الهاشمي » و « عبد ربه الغفاني » و « عبدالله القوييري » ، وغيرهم فهؤلاء على سبيل المثال ، لا على سبيل الحصر ، ولكنهم من الطليعة التي اسهمت في رفع لواء « القصة » وشقت طريقها بتوفيق ونجاح !

ولا اعتقد ان المجال يسمح الا ب سرد بعض هذه المزايا من قصص هؤلاء الادباء ، كتمازج سريعة على معالجة مشاكل ، يتسل بعضها بالاجتمع ، وبعضها بالانسان وبعضها بالوطنية . فها هو السيد « عبدالله القوييري » مثلا في اتصوصته « كيس الدقيق » يعالج مشكلة انسانية هي مشكلة الحرب .. ان الحرب ممقوتة للنفس ، وخاصة اذا كانت لغز غاية سابية ، او استرجاع حق مقتصب ، وان آثارها النفسية ، وآلامها العاطفية لا تقل عن آثار تدميرها وتخریبها ، فها هو الشاب يغامر بحياته من اجل الحصول على « كيس دقيق » له ولا رته ، وينطلق كي صديقه ، مقتحمين المسكر ، ليسرقا الدقيق . ويتقدم السديق ، بينما يظل الشاب في منعطف بجوار السور ، لينتلق ما يستطليح صديقه ان يأتي به ، وينبج الكلاب ، وتلاقي انفاس الشاب ، ويلقي له صديقه بكيس الدقيق ، وهو لا يزال معلقا . وبعد دقائق مئة تسبع طلقنا نارية ، ويقول له صديقه : ابتعد ، ابعد . فقد

حافظ على لفته خافلا بطوليا ، على الرغم من عملية اكتساح اللغة بطريقة مبدروسة من جانب الاستعمار . فاذا كانت هذه الآثار نتاج ثمانية عشر عاما فهذه نهضة - كما قلت - تستحق كل تقدير واعجاب !

ولا اتول ان فترة الاستعمار الايطالي قد قضت تماها على الادب العربي في ليبيا ، لان الادب العربي يتعمق لدرجة لا يمكن معها القضاء عليه وانما اتول : ان هذا الادب قد قيد وعقل ، ولكن كانت هناك همسات مبحوحة ، تنبث في السر من بعض الادباء ينفسون بها عما تنفعل بها نفوسهم من عواطف ، وما تاور في وجدانهم من الاحاسيس ! .

وفي جبال استعمر اشخاص بعض الجوانب الادبية لا يوضح هذا في هذه الفترة الاخيرة التي اتيج فيها ظهور القصة والاتصوصة على نطاق واسع ، وذلك بعد وجود مجلات ادبية عديدة ، تعنى بالادب وفنونه المختلفة وتوجه عليه وتعتمد له الجوائز !

ان الباحث المتبع للكثار الادبية في ليبيا الشقيقة ، ومدى تطور هذه الآثار يشعر بان نهضة ادبية واسعة تحققت في فترة وجيزة ، اذا قيست بالفرات التي تحدث فيها النهضة الادبية في الامم .

واذا كانت هذه الفترة القصيرة قد ظفر فيها الادب بهذه الصورة المشرقة ، فان النتيجة المتوقعة هي نهضة شاملة في المستقبل القريب !

وان نظرة سريعة الى الادب في ليبيا ، ومقارنته بين واقعه قبل الاستقلال وواقعه بعد الاستقلال توضح لنا كيف تطور الادب ، ودرج في مراقي النهضة خطوات موفقة .

ان الادب في ثمانية عشر عاما فقط خطا في هذه الدولة الشقيقة خطوات تدعو الى الاعجاب والتقدير حقا .. واتول : ثمانية عشر عاما ، لان فترة الاحتلال الايطالي كانت فترة محنة قاسية ، عانى منها الادب نصيبه ، بل واللغة العربية في البلاد .

وان الكل يشهد ان الشعب الليبي

انتهيت ! .. ويخرج الشاب ليدفن كيس الدقيق في حفرة الى جانب شجرة ، ثم تتلوى دموعه ، وبجهش باكيا في حرة !

انها جانب انساني رائع ، ولقطة من صميم واقع الحرب ، وظرونها القاسية ، في صيغة عربية سليمة ! وها هو الأستاذ «عبد ربه الغفاني» يجسم لنا في قصته (صاحب العزة) صورة اجتماعية ، ويعرض لمشكلة ثري ، ترك أسرته ليلقي بنفسه في احضان ، غانية لمحب ، تهتم بماله وصحته ، بينما زوجته المسكينه تبيت ليلتها مؤرقة الاجمان ، ضارعة الى الله ان يهدي زوجها الضلال ، وكان السماء تشاركها غضبها النفسية ، وثورتها الداخلية ، فتهمي بسيل كالغريب ، ويوابل عنيف .. وفي الصباح ينفجر فيها موقد الجاز انثناء اعداده الطعالم لابنائها ، وفي خضم تفكيرها العميق من أجل زوجها الخسوع !

ويستيقظ صاحبا ليجد نفسه وجها لوجه امام زوجته الصريعة ، وولديه المحروطين !

ان اسلوب القصة نظيف .. وعلى الرغم من وجود حواديت فيها ، قد تستدعي اسلوبا مكشوحا ، في زعم بعض كتاب القصة ، تشبها مع الواقعية في رايهم ، فان هذا الاسلوب - مع واقعيته - كان اسلوبا نظيفا ، عبر عن هذه الواقعية ، دون اشارة لغريزة ، او خدش لحياء !

اما مضمون القصة فهو - ولا شك - لحة واقعية ، ادت الى نتائجها الموثقة في نهاية القصة . وهناك نماذج عديدة لتطور القصة اللبية ، يلجأ الباحث ، ويرى فيها ملامح الشخصية اللبية .

وبذلك نتفتح القصة فصلا جديدا في الادب الليبي ، وتحتل مكانا بارزا في موكب الادب العربي المعاصر !

واذا انتقلنا من القصة الى « المقالة » الفيناها نأخذ مكانا مرموقا في الادب الليبي الحديث . وخاصة

« المقالة الادبية » التي يسمى كاتبها الى تصويرها عابرة بالعباطفة ، مسترسلة مع الدوافع النفسية ، والدفعات الوجدانية ..

وهذا النوع نجده في ايلينا الحاضرة على صورة واسعة ، يسلا الصحف والمجلات ، ويخوض في مجالات شتى من الحياة ، ويرسم صورة نابضة ، ويمالج مشاكل قاتبة ، في اسلوب لا تموزه الرصانة او الجزالة ، وفي عبارات لا تنقصها القوة ، ولا يتخلى عنها الخيال الحبيب !

ثم هناك « المقال الصحفي » وهو ما يقوم على فكرة سياسية او اجتماعية او اقتصادية ، يعرضها ككتابه عرضا شيقا جذابا ، ويتنازل بالاجاز والتوكيز .

وهذا النوع يحتل مكان الصدارة ، فيه تفتح الصحف التي تصدر في البلاد ، ولا يقل رصانة ، او موضوعية عن أي مقال صحفي في كبريات الصحف في جميع البلاد العربية .

ومن ثم فان المقال يمثل جانبيا هاما من جوانب النهضة الادبية في ليبيا ، ويغترز امل العميد القوي الذي تركوا عليها هذه النهضة في البلاد ..

اما « الشعر » فهو بدون ريب قد خطا خطوات جد موفقة ، وحيثما نستعرض تطوره نجد انه - حتى في عهود الارهاب الاستعماري - كان يحاول ان يثبت وجوده ، وان يعبر عن الاحاسيس النواقة الى الحرية والانطلاق . وكان الشعراء يلجأون الى كتابة نبضات قلوبهم باسماء مستعارة ، او بحروف مفرقة .. فما نحن نرى قصيدة بتوقيع مستعار ، جاء فيها :

انصتي يا طيور

اسمعي يا رباح

عند هذا الفير

قد فقدت الصباح

والشباب التضرع

والتميم البراح

يا له من شباب

متخزن بالجراح !

فاسكتي يا طيور
واصفي يا رباح !
ومن قصيدة اخرى بتوقيع آخر مستعار :

هل تری تبعت الرمم

أو ترى تنهض الام ؟!

في حياة كنها

لجج البحر ترتطم ؟!

فلما استقلت ليبيا في الرابع والعشرين من ديسمبر سنة احدى وخسين وتسعمائة والف انطلق شعراؤها ، يعبرون في فرحة وغبطة عن امانيهم الوطنية ، ويمالجون مشاكلهم الاجتماعية ، ويصفون عواطفهم الذاتية ، ويلقون في سبوات الفن دون خوف من سهم طائش ، او رمية مسددة !

وانطلقت اللابل تشدو صداحة نشوى ، تغمل الاذان بسحرها الحلال ، وفننا البديع !

ورأينا شعراء عديدين يخوضون في مجالات شتى للشعر ، ويسعون الدعائم القوية ، حتى يعلو البناء صراخا غابيا على التاريخ ..

بل رأينا منهم من ينتزع الاعجاب من قادة النقد في عصرنا الحديث ، فما هو الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد (رحمه الله) يقول عن الشاعر الليبي العظيم « رفيق المهدي » : « لقد رأيت من الواجب علي ان ابنه في صحافتنا الادبية الى مكان هذا الشاعر الذي يقل نظراؤه في العصر الحاضر » وهذه شهادة من ناقد عظيم يعرف مكانة العظماء .. وهذا بلاريب يبهج الباحث المؤرخ للادب . وكيف لا وهو يجد شعراء ليبيا يشاركون في النهضة الشعرية العربية بنصيب وافر ، ويرغمون لواءهم ، ليحقق مع بقية الوية الادب والفن .

وفي الحديث المثل سأتعرض لبعض الموضوعات الحية التي عالجهما الشعر الليبي الحديث ، والتي بلغ فيها من الفن والذوق شأوا بعيدا .

الكويت : محمود سلطان